حيَّة ودرج

خزعل الماجدي

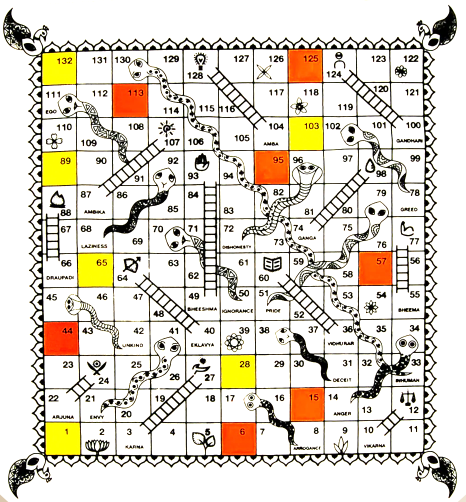

حيَّة ودرج

تأليف
خزعل الماجدي

هنـــداوي

حيَّة ودرج

خزعل الماجدي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٦٧٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور خزعل الماجدي.

المحتويات

مقدمة المؤلِّف	٧
قبل اللعب	١٣
١- فيما مضى عندما ظهر الخبزُ في المعابد	١٩
٢- درَجُ جفِّفي لي أولَ الطريق يا نانشهْ	٢٣
٣- وضع الربُّ البذورَ في خاتَم حوَّاء وقال لها: انثُري	٢٧
٤- حيَّة نفقِ ساحة التحرير	٢٩
٥- شمس إنفلونزية فاقعة	٣٣
٦- درَجٌ إلى عربات نبو	٣٥
٧- وفاة مهندز بغداد	٣٩
٨- حيَّة الغريزة تؤسِّس الجحيم	٤٣
٩- أكباد متفسِّخة اسمها نصوص	٤٧
١٠- درَج نوح	٥١
١١- المرتِّلون ينهضون من النوم	٥٣
١٢- حيَّة ننكاسي	٥٥
١٣- حسنًا ... كفَّ عن تمشيطي وتعالَ قبِّلني	٥٧
١٤- درَج البروج	٦١
١٥- بدأ الكسوف فامتطى حمارَه	٦٥
١٦- حيَّة الحرب	٦٩
١٧- حدِّثني يا ولد عن شنعار	٧٣
١٨- درَج صانعِ الأجنحة	٧٧

١٩- كراسات الموسيقى تتطاير في الشوارع ٨١
٢٠- حيَّة العِظام ٨٥
٢١- إيروس يقفز بين الناس ٨٩
٢٢- درَج المغني ٩٣
٢٣- أنا شمعداني ٩٥
٢٤- حيَّة الدُّخان ٩٧
٢٥- الأخطاء التي تحوَّلتْ إلى دم ٩٩
٢٦- درَج الخمر والغناء ١٠١
٢٧- آخِر الليل في مدار السرطان ١٠٥
٢٨- حيَّة ٩٩ ١٠٩
كان يا ما كان ١١٣
إشاراتٌ وهوامش ١١٥

مقدمة المؤلِّف

كانت الكتابة أعظمَ حدثٍ حصل في حياتي، فمعها انتبهتُ لقطار عمري وقد وُضِع على سكةِ قطارٍ طويلة شعرت أنها لن تنتهي إلا مع نهاية العمر؛ ربما لأني أدركتُ أن الكتابة هي مهنتي الوحيدة التي سأجيدها ... وربما لأنها تناغمت مع أعماقي ... وربما لأني كنت أشعر بغُربة عن العالَم الواقعي فجاءت الكتابة لتخلق لي عالمًا متخيَّلًا من الكلمات، أجده منسجمًا مع نفسي وأجد فيه ما عجزتُ عن العثور عليه في الواقع.

وربما هو الخوف ... من الآخَرين والمجتمع، فقد شعرتُ أن هناك مَن يريد انتزاعَ حريتي مني، وحرماني من الأمور التي أحبها؛ بل الخوف ما جعلني رقمًا من أرقامهم، وقلتُ فَلْأخترِع لي رقمًا صعبًا ومعادَلةً يصعب فكُّ رموزها، وكان لي هذا عن طريق الكتابة.

ورغم أني مررتُ بالكثير من المهن، فإنها كلَّها كانت غريبةً عني، لم أشعر بأنها تُلامِس روحي وعقلي يومًا، وهكذا قرَّرتُ أن أكون كاتبًا ولا أكون سِواه، فكان لهذا القرار أثرُه العظيم في حياتي؛ حيث اتَّضحَت، يومًا بعد آخَر، أهدافي التي خُلِقتُ من أجلها.

ومثل أي ولادةٍ مقلوبة بدأتُ كتابةَ مذكراتي منذ أن كنتُ صبيًّا صغيرًا، أروي فيها، بسذاجة، ما أمرُّ به من أحداثٍ بسيطة، وما أقرؤه من الكتب، وما أحبُّه من الأغاني والهِوايات المبكِّرة؛ هذه المذكِّرات لا تعدو أن تكون أكثرَ من يومياتِ صبيٍّ مراهِق ما زال في الرابعة عشرة من عمره. ومعروفٌ أن المذكرات هي أصعبُ فنون الكتابة، ولا تأتي إلا في نهاية العمر؛ حيث عُمق الخبرة وطولها، والكَمُّ الهائل من الأحداث التي يواجهها شخصٌ قَلِق ومختلف مِثلي. ولكني، مع ذلك، أشعر اليومَ بالغِبطة؛ لأني أحتفظ بكنوزِ براءةٍ وسَرديات عفوية لا نظيرَ لها تتمثَّل فيما يقرب من ستة دفاتر سميكة من مذكراتٍ دوَّنتُ فيها عمرًا كان يُمكِن أن يتبدَّد ولا يحتفظ إلا بأضغاثِ صورٍ وأحداثٍ مرت بسرعة.

وحين بدأت بكتابة الشعر، كنتُ ساذجَ البدايات أيضًا، ولم يتصلَّب عودي فيه إلا بعد زمن، كلما زاد اطِّلاعي على شعر الشعوب، في تاريخها الطويل، وكان ذلك يجري قبل أن أنشر شيئًا في هذا المضمار، ثم بدأت رحلتي الحقيقية مع الشعر حين اختلطتُ بالوسط الأدبي والشعري، في العراق والعالَم العربي، الذي كان مُستعِرًا بالجدل العميق والخلَّاق.

وتقدَّمَت خطواتي أكثر وبشكل أقوى حين نشرتُ مجاميعي الشعرية ابتداءً من ثمانينيات القرن الماضي، حينها تَولَّعتُ بالشعر أيما تولُّع، فسلبَ كلَّ كِياني وبدوتُ كما لو أني منذورٌ له، وأنه خَلاصي الوحيد.

وبعد عَقدٍ من النشر المتواصِل والخوض في غِماره، جاء المسرح ليصبح حقلًا موازيًا للشعر أدركتُ فيه أن ما لا يُمكِن التعبير عنه شعرًا يُمكِن للنصوص المسرحية أن تقوم به، ومرت السنوات وإذا بي في بيدرٍ وارفٍ من الأعمال المسرحية المكتوبة والمنفَّذة إخراجيًّا على خشبة المسرح من قِبَل مُخرِجين كِبار.

أكسَبَني ولَعي بالشعر والمسرح قوةً ومَرانةً هائلتَين، واستمر الحقلان مَلاذًا لي يَنسجان شخصيتي الأدبية ويرتقيان بي إلى مَدارِك لم أحلم بالوصول إليها.

وسواء، في الشعر أو المسرح، كانت الأساطير تشدُّني دونَ غيرها حتى قادني هذا إلى الاطِّلاع على طيفٍ واسعٍ من أساطير الشعوب ومَلاحمها، ومن وَفرة ما اطَّلعتُ عليه منها، قراءةً، كنتُ أقارن بينها وأدقِّق فيها، وأزيد تنويع مراجعها شرقًا وغربًا.

من هنا جاء الحقل الثالث في اهتماماتي، وهو الأساطير وعلم الأساطير (الميثولوجي)، الذي تَصاعَد بحثي فيه مع دراستي الأكاديمية للتاريخ القديم وتراثه.

ولأن الأساطير مكوِّنٌ واحد من مكوِّنات الدِّين الثمانية، وجدتُ نفسي في طريق البحث في الأديان وعلم الأديان، وظهَر لي مبكرًا مجموعةُ كتبٍ منتظِمة في تاريخ الأديان.

وحين توسَّعَ بحثي في أديان الشعوب وسَّعتُ اهتمامي في حقل الحضارة والدراسات الحضارية لكل الشعوب، وأصبَح هذا المشروع واعدًا بأن يكوِّن موسوعةً كبرى في تاريخ الحضارات.

نشْرُ هذه الأعمال في كتبٍ إلكترونية خطوةٌ طَمُوحة بلا شك جاءت مُتوِّجةً لكل هذا الجهد الواسع في الكتابة.

ستشمل هذه المجموعةُ جميعَ الكتب الإبداعية والكتب الفكرية موضوعةً بطريقة متداخلة من التنوُّع والتشكيل؛ فالأعمالُ الشعرية شملَت المجموعات الشعرية التي صدرت

من عام ١٩٨٠م وحتى يومنا هذا، والأعمالُ المسرحية شملَت المسرحيات التي ظهرت منذ ١٩٩٠م وحتى يومنا هذا، ومن ضِمنها المسرحيات التي لم تُنفَّذ، إخراجيًّا، للمسرح بعدُ.

تناولَت الأعمالُ الفكرية تيارات الفِكر الأربعة الأساسية في العلوم والتاريخ: الحضارات، الأديان، الأساطير، الأدب.

ينتج عن المسار الطويل في تجرِبة الكتابة ما يُشبِه الحكمة التي يَشُوبها الحزن، فبقدر ما يزداد حجم الحكمة في تراث الإنسان، يزداد، في مقابله، حجمُ الحزن والألم الذي يضعنا في مفترقِ طرقٍ واسعة؛ لأن الإنسانَ لا تُسيِّره الحكمة، بل تُسيِّره الغرائزُ والحاجات السريعة، وكذلك العنف والغضب.

الحلمُ المثالي في الوصول إلى حياة غنيَّة بالحكمة يتحقق عن طريق تراكُمها بوصفها رصيدًا جماعيًّا وخبرةً فردية، ولعلَّ الكتابةَ والاطِّلاعَ يوفِّران هذا ويجعلان منه واقعًا قابلًا للتداوُل.

منذ زمن بعيدٍ أدركتُ أننا في بلادٍ تفتقر إلى الحرية ومن الصعب مُمارَستها؛ ولذلك وجدتُ أثناء إقامتي في تلك البلاد أن الحرية أمرٌ شخصي وداخلي ولم أذُق طعمَها الجماعي يومًا، وحتى حين عشتُ في الغرب، لم أتمتَّع بثمارها، بل ظلت شأنًا داخليًّا ينمو تحت شجرة الأمان والقانون فقط.

ساهَمَت الكتابة أيضًا في تعزيز حريتي الداخلية وجعلها نابضةً بالحياة والمحبة. وكانت سياحتي الطويلة في الحضارات قد أعطَتني أبلغَ الدروس عن الأشكال المتنوِّعة للحضارات وإمكانية تشكيلها وفقَ البيئة والمجتمع وسيكولوجيا الجماعة، وكلُّ هذه الحضارات طرقٌ في التكيُّف والعيش، وليس بالضرورة أن يكون كلُّ تاريخ الحضارات «متحضِّرًا»، أو أن يكون جوهرها تحضُّرًا كاملًا ونقيًّا؛ لأن هذا يخالف طبيعةَ الإنسان التي يَسكنها الشرُّ والدمار والكراهية مثلما تَسكنها نزعات الخير والمحبَّة، فالحضارات تصطرع مع نفسها، بين هذا وذاك، ونتيجةُ هذا الاصطراع هي التي تعطينا لونَ تلك الحضارة ونكهتَها، المختلفَين عن لون الحضارات الأخرى ونكهتها.

الكتابة عن الحضارات أمر مُبهِج جدًّا؛ لأنها تجمع أدقَّ التفاصيل وتُبوِّبها في حقولٍ ومفردات شِبه ثابتة، وبذلك يُمكِن أن نقارن بين الحضارات بيُسرٍ شديد.

الأديان، من ناحيتها، تقدِّم التطلُّع والدأب الروحي نحوَ الأعالي والمطلَق، وتترك نصوص الدِّين، بصفةٍ عامة، تشوُّقات الإنسان لهذا العالَم المحجوب عنَّا، ولا شك أن لتاريخ الروح الحصةَ الأكبر في تاريخ الأديان، ومن الأديان نعرف كيف تنشط روح الإنسان نحوَ

المجهول، ومنها نتعلَّم كيف يجري السطو على الهاجس الروحي وتحويله إلى هاجسٍ سياسيٍّ ومنفعي.

ظلَّ تاريخ الأديان يلازم شغفي المعرفي، بعدَ أن كانت الفلسفة سيدةَ ذلك الشغف، وكان يحرِّك بي طاقةً عجيبة تذكِّرني بطاقة الشعر، التي نَمَت معي مبكرًا، حتى تيقَّنت أن الكثيرَ من ثمار الروح والشعر والفنون تَساقَط في حقل الدِّين، ذلك الحقل المجاوِر لنا، الذي هو حقل الشعوب عبر تاريخها الطويل.

لكنَّ دراسة كلِّ دِين، على حِدَة، تستوجب منِّي معرفةً جيدة بعلم الأديان، وأن تلازُم علمِ الأديان وتاريخ الأديان أمرٌ لا بد منه؛ ولذا كان، من الطبيعي، أن أعمل على تقصِّي مكوِّنات هذا العلم ومناهجه وعلمائه، وكان لي ما أردت.

الأساطير هي الأخرى خزائنُ العلوم والفلسفات والمعتقَدات البدئية، هي بذرةُ كلِّ هذا، وهي الحوار السردي الطويل بين العالَم وحواس الإنسان، في نصوصٍ لا تَرقى إلى أن تكون فكرًا ناضجًا؛ ولذا فهي لغةٌ بريئة مشحونة بالطاقة المقدَّسة.

وكان لتاريخ الآداب والفنون والعلوم سِحره الخاص في وجداني ومؤلَّفاتي، فقد نهلتُ منه الكثيرَ وحاولتُ أن أجسِّد بعض محطاته.

يَتغذَّى عقل الإنسان ويستنشق كلَّ هذه الخُلاصات الجمالية والروحية والنفسية لكي يَغتني ويجعل العالَمَ حوله وفيه أفضل، وتأتي القراءة أولًا ثم الكتابة كأنفاقٍ جوَّانية لسَبْر كل هذه الأغوار وجعلها تنطق بالعجائب والنوادر.

أتمنى أن تقدِّم هذه الأعمال شيئًا للقارئ، وأن تصل بعضَ الخيوط التي أسَّست قصة الدأب والمواظَبة على حياكة ونسج مشروعٍ تجاوَز زمنُه أكثرَ من نصف قرن.

خزعل الماجدي
٢٠٢١/١٢/٧م

إلى مروة
ابنتي ... التي وُلدت في فم الحرب.

قبل اللعب

ماذا يحملُ هذا المهندزُ الغامضُ؟
ماذا في جنطتِهِ السوداء؟

يحملُ ستةَ أسماءٍ سريَّةٍ تحت اسمه السابع المعلَن، خرائطهُ لا أحد يعرف كيف يفكُّ رموزَها؛ ولذلكَ تعبنا كثيرًا من تفتيشها وتأويلها ... كلَّ مرةٍ تظهر لنا صفوفٌ من الألغازِ والرموزِ، حزمةُ إشاراتٍ غامضةٍ، جُملٌ مقطوعةٌ ولا معنى لها ... أسماءٌ غريبةٌ، رسومٌ وأساطير، نصفُها متداوَلٌ ونصفها الآخَرُ من صُنعه، طيورٌ مخلوطةٌ بأسماكٍ تفرُّ من نصوصِهِ وأحيانًا دناصير وحيَّات.

لم نعُد نفهمُ شيئًا. هل لفَّ الحبلَ السريَّ لابنتهِ ووضعهُ في الجنطةِ؟ لا أحد يعرف!

كان يغنِي غناءً لا يمكن أن ننسبَه إلى عصرٍ محدَّد، ولكنَّه حزمةٌ متطايرة من أصواتِ الماضي، التي تلمع فيها أعماق ودفائن هذا الزمان. هذه المرة، يستخرج نَصًّا مدفونًا في الكحول، ويُعيد كتابتَه، النصُّ بلا مؤلفٍ، وهذه اللغة غريبةٌ تمامًا، يقترح لها ترجمةً، ثم برهافةٍ يسدُّ الثغرات التي سببتْها الأرض للسطور وخرَّمتْها كثيرًا.

تَركَ دويًّا هائجًا في حلقة أصدقائه وهو يخرج.

قال حكمت: لا ... أنا أعرفهُ جيدًا، هل من المعقولِ أن يحمل في حقيبته الحبلَ السُّريَّ لابنتهِ ويخرجَ مبكِّرًا في هذا الصباح ... يا جماعة أنا أعرفه جيدًا. لا سُرَّة ابنتهِ، ولا رقم تليفون، ولا كتاب ... إنه يبحث عن فرجال.

قال محمد: أعتقد أنه عَثرَ على مدوَّنةٍ طينيَّة تسبق «أُخذة كِش»، وإذا صحَّ ذلك فسيكون النصُّ الشعري الأول في التاريخ معه.

قال نَصيف: لا ... أغاني وقصائد الكاولية دوَّنها قبلَنا، وسينسبها إلى نفسه.

قال حسن: كلاوات ... لقد رأيتُه بعينيَّ هاتَين يحمل لعبةً ... أخْ، لو أعرف ما هي.

قال كَزار: لا يا حسن ... لا، معه تمثال سومري (ها طوله)، عَثرَ عليه أيامَ كان يذهب إلى خطيبته في الشطرة ... كان يخطب يبحوش.

قال خالد: يا جماعة ... فكرةُ الحبل السُّري لابنتهِ مضلِّلة، لقد سَرقَ قصيدةً صينيةً ستجدونها بعدَ أيام في نصوصِه ... وسأفضحه.

قال فاضل: ربطةُ عنقه ... والفِطر الذي ظَهرَ في مقدمة رأسه، وضَعَها في كيسٍ، وخَرَج.

قال منصور: أنا أعرفه جيدًا، لماذا تتعبون؟ بيته خالٍ من الخمر هذه الأيام، أخذ قنينةً فارغةً ليشتري عرَق فُلْ.

قال علي: صدِّقوني، معه كاسيت ليسجِّل عليه موسيقى، طفرتْ مني كلمةٌ حول «حرائق نينوى»؛ فتلقَّفَها ... لم يصدِّق.

قال كريم: عمِّي يا كاسيت! ... قوةُ الوعي وباخوس، هما اللذان يحركانه من مكانٍ لآخَر.

قال عادل: آخِر مراحلِ تربيع الدائرة ... في البداية كنَّا نعملُ سويةً، لكنه توصَّل إليها أخيرًا. روحْ عوافي عليك.

قال كاووش: لن تصدقوني إذا قُلتُ لكم إنه يفكر هذه الأيام بالرسمِ، ومعه الآن ألوان ومعاجين وفرشاةٌ ... فيكةٌ جديدةٌ من فيكاتهِ.

قال عبد الزهرة: مسوَّداتُ نظريةٍ متطرِّفة في الشِّعر خَرجَ للتخلُّص من مراجِعها، أهميتُه تكمُن في التحريض فقط.

قال حميد: صاحبي وأعرِفُه ... قنينةُ عطرٍ أهدتْها له امرأةٌ في الفندق؛ كنتُ معه ليلةَ أمس.

قال كمال: مجموعةُ خواتمَ أَهدتْها النساء له، وضَعَها في جورب وذهَبَ ليدفنها، أكبر خوَّاف.

قال رعد: أوفاتٌ وخرزٌ ونيرنجاتٌ، ذهَبَ ليُخفيها عنا؛ لكنَّ نُسخًا منها عندي. هذه المرةَ، لا يستطيعُ أن يموِّه عليَّ.

قال سلام: دفترُ صكوك ... أنا أعرفه، يدِّعي عدمَ حب المال وهو يعبده.

قال زاهر: يا جماعة ... قبلَ أيام، رأيتُهُ يفاوضُ أحدَهم على نايٍ قربَ المقهى، أعتقدُ أنه سيتعلمُ العزفَ عليه، إيه ... أخيرًا سيصبح زمَّارًا، ونخلص.

قال القصب: الله ... الله، لا شكَ أنه ذهَبَ ليؤجِّر الحصانَ الذي سنستعمله في المسرحيةِ القادمة.

قال ستار: بطاقةُ طائرةٍ ... أما إيفاد أو دعوة.

قال جان: سخافات.

قال فوزي: كاميرا ... لقد اشترى الفيلمَ أخيرًا، وسيصوِّر لنا بغدادَ في يومه هذا.

عدَّل الغريمُ نظَّارتَه
وعكَّازَه بين ركبتَيه
وتهيَّأ
ورمى بالنرد

الفصل الأول

فيما مضى عندما ظهر الخبزُ في المعابد

نهَضَ من القرون الوسطى ... الساعةَ السابعة صباحًا بدشداشته البيضاء، يمكننا أن نقول إنه مَردٌ وكاتبٌ فاحِش ... ولكنَّه مع هذا صامت. عندما يخرج في الشارع، كان يحملُ شموعًا ضخمةً لا يراها أحد.

رابسودياتٌ مُهلِكة، تتضح كلَّما علا صوتُ الدِّيك وظهَرَت الشمس.

أكَّد لهم مِرارًا أنَّه لا كاتب ولا بطيخ، هو تحديدًا خيَّاطُ نصوصٍ يعاني من حُب الشُّهرة والوضوح؛ لماذا لا يفهمون ما يقوله؟

كِسَر من الأساطير والفولكلوريات والرُّقى في يديه، سيرمم بها بقية حياته، وكم كان يحبُّ أن تظهر أعماله مثلَ فسيفساء مرقَّعة بالعيون والماسات والخرز والأغاني الشعبية، أغاني الريف والمقام، وسلاسل الحِكم والأمثال القديمة وحواريات الحيوانات وصفوف الأعشاب النادرة والعدسات والتسابيح الوثنية.

أنجَبَ آدم شيث، وأنجَبَ شيث أنوش، وأنجب أنوش قينان، وأنجب قينان مهلائيل، وأنجب مهلائيل إليارد، وأنجب إليارد إدريس، وأنجب إدريس متوشالح، وأنجب متوشالح لامك، وأنجب لامك نوح، وأنجب نوح سام، وأنجب سام أرفخشد، وأنجب أرفخشد أوركاجينا، وأنجب أوركاجينا كوديا، وأنجب كوديا أبي سين، وأنجب أبو سين الكاهن لُلَّلا، وأنجب لُلَّلا أدد، وأنجب أدد نبوناهيت، وأنجب نبوناهيت بالثازار، وأنجب بالثازار يَشكُر، وأنجب يَشكُر سليمان، وأنجب سليمان أشجع، وأنجب أشجع فزارة، وأنجب فزارة أقصى، وأنجب أقصى لكين، وأنجب لكين مخارق، وأنجب مخارق شِنْ، وأنجب شِنْ بدر، وأنجب بدر ماجد، وأنجب ماجد عصواد، وأنجب عصواد سرِّيح، وأنجب سرِّيح حشوش، وأنجب حشوش جبارة، وأنجب جبارة كَعيد، وأنجب كَعيد حمود، وأنجب حمود زناد،

وأنجب زناد خزعل، وأنجب خزعل اثني عشَرَ ولدًا توزَّعوا على الأقاليم وزيَّنوا القارات السبع والبحار الخمسة.

فيما مضى ... عندما ظَهرَ الخبز في المعابد والكتب في الجوامع، والآلهة خرجتْ من الماء.

فيما مضى ... عندما ظَهرَ اسم الإنسان من عِظامه، وعندما ظهر الخمر في الجِرار، فيما مضى عندما ظَهرَ العُصاة والغرابيون وهوَّسوا.

فيما مضى، ضربَت البُروقُ الألسنة فتفرَّقت، فيما مضى عندما على العتبة ذبَحَ الكاهن ديكًا، ودندن العرَّاف بأغاني الكالا والنار.

فيما مضى، عند انفطرَت المِرآة وتبعثر مشهد المضاجعة. فيما مضى ... عندما ظهرَت أمراض النهار وأمراض النحيب، ولَبسَ الناس ملابسَ سوداء وقصُّوا شعورهم على شكل طرَّة سوداء حزنًا على ديموزي.

فيما مضى، عندما حزنوا عليه ودقُّوا الدفوف والزناجيل على ظهورهم.

فيما مضى، عندما كانوا يلطمون جماعاتٍ جماعات على موت ديموزي وعطشه ... فيما مضى.

فيما مضى ... الأم الخصيبة تظهر في النبات ... الأم المِقدامة الموزَّرة، التي كانت تدكُّ الأرض. فيما مضى، الدمع يصعد في نُسغِ النبات ويفوح على الورد.

خاتم الخاتون أزرق ... خاتم الخاتون ليلو.

وحياتك يا عبدَ الزهرة، وحياتك لم أعاشرْ غيرك ... أمْسِ حين رميتُ الخاتم لك، لم أعُد أحتمل. مرمرتَني، كلما أريدك تبتعد. تذكُر حين جاء الساحر أبو الأوفاق والمثلثات، وفتح الكتاب، وطَلعَ اسُمك يشعُّ، قلَبَ الصفحةَ فطلَعَ اسمي، وكتَبَ بماء النشوان على الصحن التعاويذَ ومسَحَها، وشربنا أنت قطرةً وأنا قطرة ... عشر مرات.

وحياتك يا عبدَ الزهرة، نضجتْ أجراس ونبضتْ وما عُدتُ أصبر ... أريد أن أدقَّ، أريد أن أفوح. وحياتك وحياة القرآنِ المضيء بصدرك، باليوم الواحد ألْفُ مصباح يشتعل في جسمي، لم أعُد أصْبِر، وحياة التيناتِ الحلوات، الشمعات المصفوفات، العَلَق الأخضر والحنَّاء ... حتى أصابعي تهتف لك ... حتى عيوني لا تنطق غيرك. وحياتك طقَّ النهر وليَّصني، طقَّ الوردَ وشمشمني، طقَّ العسل ... طقَّ الحطب، طقَّ القمر.

كَسرَ عصاه السحرية ودفنها في الأرض، ثم رمى كُتُبه في النهر ... ومضى يحمل شاهدةَ قبره إلى المقبرة.

لم يعُد هناك ما يغري ... كلُّنا زائفون.
ومع ذلك، لم يبقَ سوى المرأة، المرأة المليئة بالروائح الطيبة.
المسربَلة بالثوب المنتقى المحلَّى بالدانتيل المقليِّ بالورود الملآنة النهود.
يا نورَ الفُل، عملتُ منكِ قاموسَ أغانٍ. عملتُ منكِ خلاصة ورد وضبَّة ذهبٍ وفضَّة.
عملتُ منكِ «صحنَ صيني» ... عملتُ منكِ محلبًا، وروائحَ مِسك، وتنُّور يا نُورَ النُّور.

في أول يومٍ من ولادتي ... في نفس اليوم الأول.
في أول الساعات ... في نفس الساعات الأُولى.
في أول الدقائق ... في نفس الدقائق الأولى.
كنتُ أبكي.

وكانت تهرب بسرعة من ذاكرتي صورُ الفردوس الذي نزلتُ منه ... كنت ما أزال أحمل ذكرياتِ الرَّحم يومَ لم يكُن هناك عملٌ ولا فِكر، ولا ليل ولا نهار ولا أمراض، ولا غذاء ولا جوع ولا انتظار، ولا حواس ولا معاني.
في ذلك اليوم الأول، الذي تتكرَّس كل حياتنا لاستعادته؛ كنتُ محمَّلًا بصورةِ المطلق الذي هبطتُ منه.
في اليوم الثاني ... في نفس اليوم الثاني تحوَّلت إلى إنسانٍ، ولم أعُد أتذكَّر شيئًا ... أصداء أصواتٍ وأضواء، وكلام، وأهل، ورماد. أصداء مفكَّكة للعسل واللَّبن ... أصداءٌ تتردَّد عليَّ ولا أستطيع تذكُّرَ قصتها ... أو جَمْعها في قصة.

الفصل الثاني

درَجُ جفِّفي لي أولَ الطريق يا نانشهْ

درجٌ صَعدَ به إلى النجوم، تحيط به الملائكة وتدثِّره بالجِزَّة الذهبية، وتضع في فمه زهرةً حارَّة.

شاهدوه بعربة الملائكة وهي تصعد، ومربَّعٌ من الحواريين يرفُّون حوله (الأسد، النمر، القرد، التمساح): يا سُكَّالي ... يا سُكَّالي، يا إسمود ... يا سُكَّالي، إنه لمن دواعي السرور أن تجلب لي هذه البنتَ، هل فهمت يا سُكَّالي؟

الرجل المعجون بالمعجون ... الرجل المدلَّى من بستان التين، الرجل ذو أفخاذ الليف الزجاجية، رجل المعدان، رجل الفافون، رجل البرلون ... الرجل أبو الأيادي الأربعة يدخل في كنيفٍ صوفي، تكياتُه أحلى من الوردة، تكياته إيساجيل وزخرفةٌ موسيقية.

دخل هيكلَ إبليس وخربَطَه ... وضَعَ النار في العيون والحطب في السُّرة، وضَعَ الشمالَ في اليدَين والجنوبَ في الدماغ، وضع المياه في الخدود والصخورَ في القلوب. وضَعَ أعمدة الهيكل الأربعة في العناصر: الماء، والتراب، والهواء، والنار.

نقَلَ هيكلَ إبليس من الفضاء إلى الأغوار ... أغوار النفس أو أغوار المدينة. ما دام الأمر أصبح هكذا؛ عليه أن يصعد. في طريقه للصعود، تأمَّلَ شرائحَ اللَّحم وحلقاتِ البصل، وتأمَّل صفَّ أنبذةٍ بيضاء، تأمَّل باعة الأرصفة يسرقون الناس، تأمَّل الناس يسرقون بعضهم، تأمَّل بعضهم يسرقون الضوء، تأمَّل المدن ورأى أنها أسواقٌ للبضاعة والأفكار، تأمَّل الأمم ورأى أنها تقلب وتنقلب، تأمَّل الحقيقة ورأى أنها تحتجب وتتلوَّن ولا تظهر حتى في أعالي الدَّرَج.

يده متبَّلة بالخواتم وآثارِ التبغ.

صَعدَ مثلَ أميرٍ وكَبدُه مرمَّم.

أصابعي نانا ... شعراتي نِنار ... لساني دو-ري ... عيوني فا-صول ... أذناي لا-سي، حُزني فريدٌ وعذْبٌ، ودولتي الجمال.

أُرسِلُ طواعيةً هذا الولعَ من محاجري وشفاهي وخدودي. إشارات لا يفهمها إلا الرهبان. كنتُ فرِحًا بكَ وبسرب الطيور الذي قدَّامك وأنت تسوقه، ولكنَّ المديح أعلى منك ومني ... فسَحَبك إلى الهاوية.

فجفِّفي لي أولَ الطريق يا نانشهْ ... جفِّفيه وسأعبر، هَفْهِفي لي ... شمشمي لي يا بزونهْ ... يا مُهرِّبةَ السمك ... يا ماحيةَ الأُميَّة.

عسى البيت يبتهج وتمتلئ عيون الصغار بالمحبة.

عسى تنمو، في الشارع، الرحمةُ والسلام؛ والناس لا يُخدعون.

عسى ... في الكتابة، تنمو شجرة الحريَّة.

عسى ... في الغيوم، تتحشَّد المياه.

عسى النباتات تعلو.

عسى العقول تُضاء.

عسى الأيدي نظيفة.

عسى المساءُ سعيد.

عسى الصباحُ أكيد.

عسى المالُ كثير.

عسى الأنهارُ، كلُّها، سمَكٌ وماءٌ حلو.

عسى العسل يملأ الصحون.

عسى البنات يُصبحن أجمل.

عسى الأولاد يحلمون أحلى.

عسى الفلَّاح يرتاح.

عسى الفلَّاحة تفاحة.

عسى ... عسى ... جففي لي آخِرَ الطريق يا نانشه.

يلمع مثل الراوند، يلمع مثل الخرزة. عروة قلبه في عيونها وهي نعسانة دائمًا ... يمشي وفي أجفانه الطبول.

يداه في الغيمة ... لا يركع ولا يهادن. يدغدغ أقدامه ويصعد.

سرِّي يموت في اليدَين، سرِّي يموت في البذرة، سرِّي في لبَّة العنكبوت، سرِّي في النقطة، سرِّي في القطَّة، سرِّي في الأدغال، سرِّي في البوسنا، سرِّي في النار الحرَّاقة، سرِّي

في القمر المخسوف كطرَّة، سرِّي في الشمس يدحرجها نَسْر الأعالي بين قدمَيه. صعدتْ معي هذه الحشود وكان العلف بين أسنانها وهي تلوك، لم تلمع في صدرها قطرةُ ماء أو ضوء؛ كلُّها سُخام في سخام. لَمعَ الصِّلُّ، ولم يَلمَع في الزرع النَّدى.

اهتفني، إذن، في عمائها وسترى. سأقلب عليك الهيولى والطُّوسَ وسأقلب ... ماذا تتوقع من رجلٍ ممرَّغ بالسُّفليات والمغانيط والزايرجات والخَبل؟

ماذا تتوقع من يدٍ لا تهتف إلا للخمر وللحرارة؟

ماذا تتوقع من أصابع متبَّلة بالضوء؟

ماذا؟ أنت الذي أهملتَ جسدك وحقيقتك.

لستُ معنيًّا بك، ولكن ثقْ أنت أكبرُ خاسرٍ على هذه الأرض، وتأكَّدْ بأنَّك ستموت إذا اكتشفتَ الحقيقة.

هل يعقل أن يجري إنسانٌ وراء اللافتات!

في تقويم عشتار، الإلهة ذاتُ الفم الكرز والعيون البقر ... سيولٌ تنحدر في حُزيران. في تقويمها، تقوم نوع من الفيروسات بمهاجمة الأغشية الداخلية للإنسان. وفي تقويمها، وتحديدًا في شهر آب، تنزل بروقٌ وتشجُّ الرءوسَ وتفلق البذورَ التي سبتتْ كلَّ هذه العصور ... تخرج أشجارٌ غريبة، وربما تخرج معها الطيور التي كانت تُعَشْعش فيها، وهي طيورٌ مندثِرة.

تصعد الربَّة عشتار من جديد، بعد أن يذوب الجليد، وتنظِّم السدود وتشرف على الامتحانات وتقرص البنات من خدودهنَّ لتحمرَّ. في هذا المكان العالي ... في هذه الربوات المفتوحة ترمي عشتار خضابها ووغف صابونها على النساء، فيخرجنَ من المغاور أحلى من عشتار ومن أمِّها ... فتتعجب هي وأتعجب معها وننظر إلى النقيبة فيهنَّ:

أكتافٌ رِفاع، ونهودٌ تِلاع، وكفَلٌ ملآن. وربلةُ ساقٍ، وحجلٌ شَعاع. المرأة المضمَّخة مِسكًا وعنبرًا، الحاملة المصباحَ في الليل تبحث عن مهيِّجها والدم يرتجف تحت الجلد ويسطع. امرأةٌ وسطَ الخوخ والخمر والذهب والنار والطين المقمَّر.

الفصل الثالث

وضع الربُّ البذورَ في خاتَم حوَّاء وقال لها: انثُري

شريط عينَيه تاريخُ دموعٍ ومرايا ... يرى ويبكي.

ما الذي ألقى كلَّ هذه الجثث قُرب مخارج المدينة؟ سقطوا من السيارات أم ألقَت الطائرات عليهم القنابل.

تحت خارطة المدينة، أطلس تشريح؛ وتحته أدوات جراحة.

لماذا لا يضع خلاصته في قصيدةٍ قبل أن تأتيه طلقةٌ تائهة؟ لا ... لا فائدةَ من الشِّعر.

العمل الحقيقي في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا التاريخ المنتحِر المدمَّى.

أرضعتْني من صدرها المنقوشِ بالأخضر أهلَّةً ونجومًا وحكاياتٍ. ثديٌ أبيضُ يتلألأ بأقواسٍ ونقاط، ثديٌ دافئ ومرتعش. شمعتُها تصعد وتطول، شُعلتها تمسك سربَ فراشاتٍ وتمسك غيمةً وتطرحها قُرب أفخاذها.

دعني ... دعني أنسج أغنيتي من الفم إلى الأذن ... أغنيتي البركانية، أغنيتي الخمرانية، أغنيتي الشهوانية، ألسنة الرُّءوس الألْف تركد في قرارة المياه.

حنجرتي هذه من أصلٍ حيَوَانَبَاتي ... حيَوَاخُرَافي ... حيَوَامَلَاكي ... حيَوَاحَجَري ... حنجرةٌ خلاسيَّة من الأسف.

أسقُطُ من الفردوس الذي لفَضَني، وأركض في الشارع والرهط كلُّه يركض ورائي.

وضَعَ الربُّ البذورَ في خاتَم حوَّاء وقال لها: انثُري.

فنثرتْ.

ظَهرَت الغيوم والنجوم فوق، والبقول والخيول تحت، والدموع والضوء في العيون، وفي الأرحام ظَهرَت الأجنَّة والدموم. انثري يا حوَّاء الحبوب من خاتَمكِ على جسدي؛ أريد

ما لم يظهر بعدُ في بَني الإنسان، أريد نبتًا خاصًّا بي. ولينبتْ في قلبي أو لساني أو يدي، وأعدُكِ سأصمد بالتبتُّل أمام نهبِ الكُروم. سأصمد أمام نهبِ النخيل ... سأصمد أمام رشِّ الحقول بالأسلحة.

سأصمد.

تختبِئ ننماخ خلْفَ مخزن الحقائب وبيَدِها العصا، والموظفون يجرِّدون القوائم، مخلوقات إنكي الستة (المتصلِّب المفاصِل، الأعمى، المشلول، الذي لا يستطيع الاحتفاظ بمنيِّه، العاقر، الخصِي) يتجولون في الشارع بمرَحٍ، ينقلون الحقائب، يصبغون الأحذية ويدندِنون.

ننماخ الموزَّرة والمُسخمة الأذرع، تراقِبُ المشهدَ بصبر.

– أبو حدبة ... تعالَ خذْ هذه البالة.

يركض أبو حدبة، ويمرُّ قُربَ ننماخ، فتمسكه من حدبته وتعضُّه: أعطيتُكَ اللقم والنستلة ولم تقبلْ ... واليوم مع نركال راعي الأموات ... حمَّال توابيت، امشِ.

في قلبها حسرة من هؤلاء ... خرجتْ عليهم بالعصا، ترى أنهم مخلوقات مشوَّهة خلقَها إنكي في لحظةِ سُكر، وزرعتْهم الحرب في هذه الشوارع، حادتهم وركضتْ وراءَهم حتى حاصرتْهم وجعلتْهم مثلَ الدجاج ينسربون إلى مقرِّها الذي أسمتْه فوق/تحت ... قُرب حفيفٍ النباتات، وشهواتٍ السمك، حيث لا أصوات السيارات ولا صُراخ المارَّة.

ننماخ الخبَّازة تعطي الآن الخُبز للناس من حقولها، والناس يتدافعون بالمناكب: آهٍ يا أولادي، حتى الخبز أصبح عليكم حسرة.

الفصل الرابع

حيَّة نفقِ ساحة التحرير

حيَّةٌ الْتفَّت على عصاه، وعصاه في يده، وعلى كتفه عباءةُ الفضَّة والذهب، في خنصره خاتَمُ عقيق، ولون الخمر يترقرق في عيونه، وعزف الوتر على لسانه ... الرخو ... النحاسيِّ ... الحماسيِّ العاهر ... الوردان.

يسترخي والمعدانُ حوله يحملون شفاعتَه المنتشرة في الماء مثل بيضِ السمك.

حين لَبطَ السَّمَك وتزاهَر؛ أثقلتْه الدفوف وغار فيه السُّم الناري، غار اللَّون المحموم.

نادانا جميعًا فخرجنا من بيوتنا بالدشاديش والبجامات وتُراب النعاسِ ما زال على عيوننا، فنبتعد ونطوف معه شوارعَ وأرصفةً ونطلُّ برءوسنا على حدائقَ مذهِلة ... لكنه بسرعةٍ يسحبنا وراءه. ظَهرَ من عصر العماليق، وراءه، يدخل بوَّابةً ضخمة يوصِدها بوُجوهنا فنتعذَّب، ونطرقها ونحن لا نعرف هل ننام ... أم نستمرُّ؟ وفيما نحن كذلك، يرمي لنا بوصلةً تشير إلى اتجاهٍ ما؛ فنتعارك فيما بيننا، فيرمي لنا بخريطةٍ ثم بمغانيطَ وأبخرةٍ ... فنعتصم به، ولكنه لا يفتح الأبواب ... ماذا يعني بكلِّ هذا؟

ماذا يمكن أن يشير؟

وجدنا شقًّا في الجدار فنفذنا منه وتبعناه، كان هو قد وصَلَ إلى ضفَّة النهر وغَطسَ فلَمْ نعُد نراه.

مَن قال إنه غاب؟

يخرج الإنسان عاريًا من الرَّحِم، ويرجع عاريًا إلى القبر ... الرَّحِم في الأعلى، والقبر في الأسفل وبينهما نلبس الثياب. هل الحياة هي الثياب؟

يخرج الإنسان بريئًا طاهرًا من الرَّحِم ويرجع شريرًا وسِخًا إلى القبر ... الرَّحِم هو الجنَّة، والقبر هو الجحيم وبينهما الملوِّث.

في ساحة التحرير، خرَجَ ديموزي من النَّفق ودخلتْ أخته في النفق المقابِل ... حين دخَلَ، كانوا يشْوون تكَّة وكَبَابًا، وكان هو يبيع الخرز وصُورَ الممثِّلات والأختام. ماشات شعره صفراء، وتحت أصابعه الوسخ.

أكَلَ وارتاح وشرِبَ لبنًا ومسَحَ فمه بكمِّه، ثم جرَّ خلفه شبكة الصيد. يقولون إنه كان صيَّادَ سمَكٍ طيِّب ... مرةً صاد سمكةً لبطتْ في يده، فأحبَّها وأحبتْه، ونام معها. لكنَّها حنَّتْ إلى العالَم القديم، وراحَت للبحر ونزلتْ للعالَم الأسفل وجرَّته معها.

أمامها حصانٌ يجرُّ قتلاها ويرفع شَعْرها، وذراعها تتوغل في أحشاشه؛ كأني مخذولٌ آشوري أمام بابل السكرانة ... أمام التين والحانة.

من هنا ... من هناك.

أصفِّق وأُجرِّسُ وأَطرُقُ وأنال.

هبَّت ريحٌ عاتيةٌ سوداءُ مُشنِترة، ولمحتُ فوانيسَ مخنفِسة. لمحتُ حانةً عباسيةً.

هذا «سِياط» المغنِّي.

وهذا «منصور» زلزل بيده العُودَ والشبُّوط، وصفٌّ من الينابيع ينفجر حوله ويغنِّي بين الخلاسيات:

مَن رأى مثلَ حِبَّتي تشبه البدرَ إذْ بدا
تدخلُ اليومَ ثمَّ تَدْ خُلُ أردافُها غدا

يتفطر الناس في دُخان الغرائز والخمر، ويتحولون إلى شُعَل، وتسقسق الأوتار ... إناء عسل عشتار يَنكفِئ، وتلتهب سكراتُ البلاط المُثخَنة.

يتفرج هو على لغات الحيوانات والنباتات والإنسان وهي تتناسل بينها، يدرك النوتلت المستحيلة والشمس تزخُّ رمادَ جثَّته.

الغزلان تخور وتتمدَّد في النفق وهو يعزف قصته علينا.

لماذا لا يلتقط هذا النَّص المدفون في الكحول.

لماذا لا يفعلها أبو عيونِ الجرادة ... عينه مركَّبة من آلاف العيون يشوف بها كلَّ شيء — أمامه، وراءه، شماله، يمينه — ولذا فالكتابة في المَغاوِر أكثرُ جَدْوى.

زهرة البطاطا تُعرض عن الضوء، ربلة ساقك تهزُّ كِياني.

سأجعلكِ تصيدِين الثعابين، تصيدين المحارات، وتركبين على «أبو الجنيب» مثل فارسة.

سأجعلكِ تفتحين الحلبات، سأجعل مراسيم الشهرة في يديكِ.

هيَّا تعالي نطرِّ الأرضَ ونحفر في خشم الثور الكوني الذي يحملها.

«أين فحل البيت؟ ... أين الكوسرة؟» أمَّا أنت يا مصيري فخُذْ كبشةَ الماس هذه وانصرفْ ... انصرفْ يا ملعون، يا مهيون، يا مركول، يا غافي.

هذا بَخورٌ لجذب الملائكة، وهذه مسدسات لتخويف المارَّة. أول زلزال حدَثَ في بغداد، خرَّب المنازل والحصون، وهَطلَ مطرٌ غزير بعده لأيام، حتى نبَتَ العُشب فوق سطوح المنازل. حدَثَ هذا مباشرةً بعد نفي شاعرٍ إلى البحر.

حدث هذا عندما سقطت الكلمة تحت السيف ولمعت خرزُ الدم على الكتب الخاصة.

أنساب التين والزيتون، أنساب الساعة، أنساب عزازيل ... يا أرضَ الحجارة ... يا دِموزي المقتول في البريَّة. خلفَه حرَسٌ وأمامَه حرَسٌ. خُطَّته في الهرب أوزية ... يغطُّ من هنا، ويطلع من هناك، والحرس مثل البراغيش يركضون وراءه وهو يغطُّ ويطلع.

كان يشيل الصايةَ الحمراء، وكان نايُه اللازوردي في جيبه والدم يتساقط من جبينه، الورد الأبيض يبكي والورد الأصفر يحكي ثم يمتلئ الوادي بالورد الأحمر.

يمشي بين المقصَّات ولا ينقطع.

مَن منكم بلِحيةٍ سوداءَ محمرَّة؟

ومَن منكم يمشي مرفوعَ الذيل؟

ومَن منكم فحلُ الليل؟

ومَن مشجوجُ الرأس والنَّحر؟

ومَن منكم كُوبُه بين أقدام ماشيته؟

ومَن منكم الورد المدلَّى من الشُّرفات؟

ومَن منكم أبو الخواتم والنجوم التي تقطر دمًا؟

يا نحيبَ العاريات.

يا نحيبَ الشاقَّاتِ الثوبَ والشيلة.

تمسك عمتي «شنينة» كتابَ العزاء وتصدح، تمسك الكتاب الزينبي وتنوح، ودم دموزي يقطر من عيون الباكيات؛ النسغ الصاعد في النبات، والنبات.

تمسك «شنينة» الكتابَ وتجعلهنَّ يردحنَ وينثرنَ شعورهنَّ.

وضاعْ وضاعْ يا عمَّه ... وضاعْ وضاعْ من إيدي.

أحوه ... أحوه.

يا إلهي ... كمْ من الجمال نرى حتى نشبع.

حوشٌ كلُّه نساء بصدورٍ عارية، ينثُرن الشَّعر إلى الشرق، ينثرن الشَّعر إلى الشمال ورُءوسهن في مراكز الصُّلبان والدمعُ يجري ... يستنزلنَ المطر.

أيُّ فلكٍ ... وأيُّ رمادٍ ... وأيُّ شُهبٍ ... وأيَّ أُبَّهةٍ تُخزي العيونَ بجمالها.

الفصل الخامس

شمس إنفلونزية فاقعة

دعي المياهَ تنزلق على الشوارع
دعي البنات يتدلعن ويُنشِدْن
دعي الساقيَ يفتح الخُمور
دعي السماءَ تهطل الوفاء
دعي البلدانَ تبتهِج
دعي الحفلاتِ تنتشر
دعي المراعي تَخْضَر
دعي الحروب تنتهي
دعي الطبلَ يدوِّي
دعي الزرعَ يطقُّ
دعي المِزمار يُهفهِف
دعي الغناءَ يعلو
دعي الأمطارَ تَقْرع
دعي الحصانَ يشلع
دعي الصورةَ والبلورَ والخردة ... دعي الشَّدة
دعي الورد ... دعينا في شِعاب الكون نَمْرح
دعينا يا إنانا يا حبيبي.

مَن صنَعَ كلَّ هذه التعاويذ والتمائم؟
مَن صنَعَ كلَّ هذه العصابات؟ ... مَن صنَعَ كلَّ هذه القدور؟

أَخَذَ الإبرة والرماد، ودقَّ على يدَيه فروعَ شجرة الحُب، ورسَمَ قلبًا يقطر دمًا، ورسم حرفَين بينهما سهم «أ–خ».

يستر قصَّته بالغصون، ويموِّه علينا؛ فيرشُّ نشارةَ الحديد. راداراتُنا لا تلتقطه.

يمشي وفي يده هذه الجنطة، لم يستطع أحدٌ معرفة مُحتواها، لا شكَّ أنه خرج هذا اليوم من أجلها ... ولكن ما هي بالضبط؟

ضحكته ورديةٌ دخانية شابحة. قسٌّ يقطف الثِّمارَ، وقشرُ الذهب الرث في يدَيه يصنع به الرموزَ، تتوهَّج شتائمه، أصابعه والضحى يتهاتفان.

خرج الرمَّاسون حَزانَى ... ماعزاتي خرجنَ من القبور ... ماعزاتي الساطعات بالحليب والنهار لغمرِ البلاد.

إي–أو–في من معاني الماء، شمس إنفلونزيةٌ فاقعةٌ مثل الشَّقشقة.

الخمر هو الإكسير المُدهِش المدندش بالمسرات، مجموعة رجالٍ ضِخام يهرولون ... من هنا يباع العرَق السفري، والطائرات تقصف ... من هنا يباع اللبلبي، وفي الفرع المجاوِر يباع اللَّبن.

هذه الضربة قُرب برج الاتصالات.

خدرٌ لذيذ بعد أول كأس ... رغم أنَّ الدم يتساقط من السماء.

ليالٍ مقطَّرةٌ بالعويل والغيبوبة ... لماذا نحن هنا؟

في الرَّحِم ننام الدهرَ كلَّه أحياءً وسطَ رغوةِ المُصول وخلاصة التفاح، ووسط النور ... لماذا نحن هنا؟

البكاء ... مخرِّماتُ أحلامِنا الطويلة.

الأكفانُ والفواتح ... مرابعنا التي لا تشيخ.

بعد كلِّ هذا ... مستقبل الولد الحلو الصحيح، في هذا المحلِّ، يبيع الأزرار والأمشاط والسحابات والدانتيل، محل كماليات ... أمَّا الشهادات فأكياسُ بصلٍ وخيار.

في يدي الليطُ
في يدي العملةُ المزيَّفة
بالوعاتٌ مفتوحة، وشوارعُ محفَّرة ... آثار اللهطِ وراءَ المجد.
تماثيل الأقوياء تقطر دمًا ورصاصًا
لا تماثيلَ لنا ... ولكنَّها تقطر مطرًا.

الفصل السادس

درَجٌ إلى عربات نبو

درَجٌ يؤدِّي إلى مكتبةٍ في الطابق الثالث، قراءاته تزداد تناقُضًا كلما تقدَّم به العمر ... لكنَّه لا يخاف ما دام الشِّعرُ مركزَها ... يصعد.

حلقات الدائرة حول المركز تكبر بسرعةٍ مذهلة.

تاريخ الجنس، الدراما المسربَلة بالشِّعر، كِسرُ الأساطير، التعاويذ والرُّقى، تاريخ السينما العراقية، الشِّعر الغنوصي، صناعة النبيذ، الطقوس الزراعية والجنسية القديمة، القرى السومرية المُهمَلة، علم الفيروسات، حركة القمر وعلاقته بحيض المرأة، القصائد الطحالية، مرحلة ما تحت الصباح، الأُقنوم الشِّعري، فلاسفة الحلَّة، المخطوطات الغجرية، البقرة نوت، المندالا الشرقية، الساروس الشِّعري، خارطة الجينات البشرية، الطِّب والسِّحر في سومر، التنجيم الزراعي، الفلَك الكلداني، النِّحل الأورفية، رسائل النساطرة، كتاب الكنزا، موسيقى حرَّان قبل الميلاد، ملفوفات المريخ الساقطة على الأرض، تعاويذ عشيرا، تطور الزهور البدائية، السِّحر العربي، تاريخ الحبليات، حقيقة هرمس، بنود على باليل، ك/ن.

صعد من النون بالكاف.

صعد بالصولجان إلى السبت الأصفر.

صعد باتجاه المأتم الحزين ... مأتم الكلمة.

طوَّق شعرَه بالأعاجيب والتاج ... في يده فنُّ الخطيئة.

وضع السمَّاعة على صدره، فلَمْ يسمع دقَّ قلبه (عقدة أفاعٍ حقًّا)، استمرَّ بالصعود إلى المأتم ... أكثر بكثير من هذه الخرافات صادفتْه، ولكنه ما زال يسجِّل نزواتِ الورد بجُمَل غامضة.

فيما يخصُّ جنس الموسيقى ... هل يجب العودة إلى الرياضيات فقط؟ ... يجب العودة إلى علم الجبر.

الزهور على الإهاب وهو يصعد إلى المأتم.

لم يعُد هناك ما يشبه النهار، نزلتْ أجناس «الكالو» من سُرَّة الشمس ولعبوا في الوِديان، وهو يمشي تحت عنكبوت النجوم ولُعابه شائكٌ، سُباعيٌّ وغامض ولامِع.

زَمَّارو ... يغنِّي ويشتعل.

الخطيئة تظهر في أربعة أعضاء فقط (العين والأذن والأنف والفم)، أمَّا الأخطاء فسبعةٌ تتوزَّع على باقي الفتحات ... أمَّا الخطايا فبالمئات على عدد أعضاء الجسد.

كان ينفث كالآثاريِّ ... لم تعُد هناك مخطوطاتٌ مندائية جديدة، التعرية والخطيئة في آنٍ واحد ... صعود مرفرف إلى الكلمة.

أين ذهبت مفاتيح المعابد السومرية؟

تحت مخدَّته ... حسنًا، أخيرًا وصل.

كان عيدُ الأكيتو منقلبًا ... بدأت الطقوس بالعكس من اليوم الثاني عشر من نيسان وعادت إلى اليوم الأول ... ماذا حصل؟ كيف تحوَّل مردوخ إلى حوذي ... وكيف انكسرتْ عربة نبو، ها هي أكوابه محطَّمة ومِحْجنه في الطين ... أمَّا العنزات فتجرُّ لحاها في التراب.

ماذا فعَلَ الأعراب بكلِّ هذا الفردوس؟

لك الزلَّات كلها ... لك الرايات كلها ... لك الوردة والتجلَّة، قمْ يا شمْرةَ عصا ... قمْ يا سترَ الدمع ... قم يا دمعَ الشمس. النجمة والضحكة أم ذويل ضاعتْ في يدك. النجمة والضحكة ضاعت في الطين.

الثيران والأعشاب والرعد ... اهتماماته الأُولى تعود.

هذا تطورٌ عنيف منقطِع، رطلٌ منسيٌّ من الموسيقى يندفع بالتمام إلى المقدمة. شِعره مرتبط بالفولكلور والروائح.

قال مع نفسه: «يمكن لعِلم الأجنَّة أن يكون عِلمًا للكون.»

أنتِ النور واللَّالة
أنتِ عيونُ الخيَّالة
أنتِ البَلَم والفالة

ما لكِ لا تشبعين، الجروحُ على ركبتيكِ ولا تكفِّين ... أعظم فرسٍ رأيتُها في حياتي.

أين سأكون بعد ساعة ... في منعطفِ جنَّةٍ أم إردوازٍ أم في رمادِ التخت رمل، وما لي أرى نشْرَ هذا الغسيل الأسود للسماء أمامي، وسَّخها دخانُ التايرات ... امسحوها ... امسحوها، كلُّ واحدٍ يمسك وصلةً ويمسح ما أطلَّ عليه من السماء، علَّنا نشفى من هذا البرَص.

أين سأكون بعد ساعة؟

حسنًا ... حسنًا لا تزعل، أين سأكون بعد يوم؟

الكاميرا تنفتح من الأعلى على الشوارع الفارغة المملوءة قهرًا، الشوارع التي لا أعرف ماذا تنتظر!

غصَّت ذاتَ يوم بالجثث، والتَّتَر، والخيول، والرَّماد.

أقصى انفتاح الكاميرا على مجموعةٍ تُطلِق النار.

أين سأكون بعد شهر؟ حسنًا ... حسنًا لا تزعل.

أين سأكون بعد سنة؟

لا أعرف ... لا نعرف، في مستنقعِ دم! في مستنقع رماد! في بحبوحةِ الخريف! في زحزوحةِ الربيع! في الهُتاف في الزُّعاف ... في الغِلاف، أين سنكون؟

هل نكون؟

الفصل السابع

وفاة مهندز بغداد

يفتح الجريدة ويقرأ في صفحة الوَفيات (مات الحجَّاج بن أرطأة) مهندز بغداد، وواضع خريطتها، والمشرف على بنائها ... كان صديقُه، يا إلهي استرنا.

هل توفي حقًّا، أم السُّم البطيء شقَّق جسده.

الشقوق تظهر على سور بغداد.

توفي في نفس سنة بنائها.

المنصور والمهندز يتقابلان.

السيف والفرجال يتحاوران:

– إمَّا أنت، وإمَّا أنا.

– أنا أكمِّلك ... وأنت تكمِّلني.

– أنت تنافسني، وتتسابق معي.

– والمدورة!

– مدورتي لا مدورتك ... هل تسمع الدهرَ ماذا يقول؟

– أنت المركز وأنا المحيط.

– بل أنا المركز والمحيط ... ثم مَن قال بأنَّك لن تَصنع لغيري مثلَها.

سفنٌ كثيرة احترقت، وظهر في شقوق السور دم، وباض الغراب فيها بيضًا أسوَدَ ظهرتْ منه الأفاعي بعد خمسة قرون.

عينان قريبتان من النهر ويده تتستر على فنِّه، كفَّاه معطرتان بالحماس والغواية ... كأنه الرفيع المقام ... كأنه السرور المبجَّل النشيط، يصنع خرافته ويمرُّ دون أن ينحني.

عيون السمندل تتربص به، مرةً أخرى يتشهَّى هذه الغيوم. لمسة حارَّة من أعماق الينبوع تملأ عيونه دموعًا. تعلَّق بغبار المرآة الحمراء وبلبدة السَّبع الشمسي وأمسَكَ بذيل التزيُّن، وتفرَّج على معارض الأحذية ومجلات الأزياء وسجلات الرصيد تاجوي، وتعاليم المتصوِّفة، وصليل أجنحة الرُّهبان، وحمَّامات بغداد وطبقات خرافاتها العشرة. ولقيَ سومر فيها، هورنات الشوارع وحوادث المرح والزلازل الخفية، وبنايات مستشفى الولادة، ومِعجَن صَلْصال ننماخ، وشاهدات المقابر، ومدافن الخلفاء العباسيين وسراديب الإشراقيين، ومحلات البقالة والمشروبات الروحية؛ وتأمَّلَ في لغات أطفالها، ودُكنة طوابع البريد، وكوابيس السياسة، وأخشاب صليب الإله ننار، وثعابين نرجال، وصيد السمك وقليه، وعيد البذار، وعيد الحصاد، وفن صياغة الحلي والمحاريث وطيور الذهب، والكتب المستورة، وورق القمار، وميداليات الأصابع، وأسواق الملابس المستعملة، ومشاتل الأزهار، ومقابر اليهود.

الكاهن يقطِّر ماء الورد على رُءوس التائبات واحدةً بعد أخرى، ويتمتِمُ بدعاءٍ للتائبين:

تفضل ... تفضل.
ألَا تشبعون من الالتصاقِ ببعض.
تفضَّلْ، ادخُل الدهليزَ وصُمْ
تفضَّلي ارمي بنذركِ.
تفضَّل، ادخُل التوبةَ وانزعْ ساعتك.
تفضلوا ... تفضلوا كفِّروا بالهدايا. كلما كثرَت الأخطاء ... كثرَت الأرباح،
يطبكم مرض.

عينُ الحصان مثل الساعة، ولمعانُ جِلْدِه وارتفاعُ ذيلِه أوامر.

أخاديد الغروب، ودِنان السُّكْر، وسيلٌ داكن ... بحيرةُ وردٍ، وبيرة ... بحيرةُ قمر، ويدوم تراخي اليدَين ... يدوم تراخي العينَين.

استقرَّ الربُّ في عيني، ثم في أحشائي، ثم في عقلي؛ وأصبحتُ أراه في كلِّ شيء.

اقرأْ ... اقرأْ لي النورَ الصبيَّ ... هذه اتصالاتُ نهضةِ الربيع بما قبلها ... الأمم الزرقاء خرجتْ من المِعجَن، وتدفَّقت في اللحم ... الأمم الصفراء تدفَّقت في محوحِ العِظام. الأسماك تكاثرت في يده، وبيضُها صار خضابًا.

انحنى على أعواد الرطب يقطفها ... نضجتْ قبل الأوان.
ليلة الغبار ... ليلة الدفن، الجميع خذلوه.
نُنصت ... ننصت لهذا الخرير ... أختُنا.
مبحوحٌ ومطبَّعٌ بالكثير من الهزائم.
شَعرُه يتصلَّب وأعضاؤه تدخل في الكسوف.

الفصل الثامن

حيَّة الغريزة تؤسِّس الجحيم

حيَّة الغريزة تؤسِّس الجحيم ... الغريزة حقلُ مفاتيحَ عمياء.

يظهر شبحُه يقطر منه الدم، لا ... هذا شبحُ أخي سقطتْ سيارته في حفرةٍ ساحة النُّسور ... كان يجمع من الطلبة مالًا لسفرةٍ إلى الكويت ... كان نرجال يحثُّه، قِبَله أختي فوزية تتمزَّق من شدَّة المرض ... تظهر لي في ليلة الغبار ... ليلة دفن الأسرار ومحوها ... شَعرها رطب من الحنَّاء، أكتافها العارية تثير الملائكة.

الغرينُ حارٌّ ... الأرواح تسقط مثل الوفرِ ... أرواح القواقع والدبابات والنباتات ... أرواح النار والحمام والحوت ... أرواح المظلومين.

عُنقي شِبه بازٍ ... عُنقي خردلة.

أقف بأذنَين عريضتَين أمام المقابر.

مَن دفع كل هؤلاء إلى القبور؟

نرجال بيده مِسحاة يكرف بها ... الذبابة علامته.

يقف نرجال على سور المقبرة.

ويصيح ليلًا: غدًا ... غدًا ... أنا لكم.

ينام الناس ويدخل نرجال إلى محاجرهم في الأحلام، وفي الصباح يتحاشونه.

يظهر بمظهر القصَّاب والشُّرطي والدبَّاغ والإسكافيِّ والفيتر.

أين يذهب؟ ... في البار كان يدردم ويقحُّ ... تحته رغبةٌ جنسية غير مُطفَأة، في المراحيض كتب كلامًا فاحشًا ورسومًا فاحشة.

جرَّب أن يرسم الأعضاء الجنسية؛ ليُفصح عن شبقيَّاته المدفونة العميقة.

لحم الضأن كالقُطن ولا يمكن الحصول عليه، ملائكةٌ تساعد الجهاز الهضمي ... ملائكةُ الطعام.

نهشَت السِّكين الآلية البقرةَ، وقسمتْها إلى قسمَين، نصف البقرة معلَّق على ناصية الشارع — خرقُ الوعدِ — كان يبوسُ يدها. يدها دافئةٌ معطَّرة: من أين أنتِ؟

– من الصوبِ الجنوب الشرقي.

– الاثنان معًا!

مهمَّته في الشِّعر على وشكِ الانتهاء ... منذ ولادته وهو يقرأ في خطوطِ كفِّه ولا يملُّ ... ما الذي دوَّنوه هناك؟ مصيره أم مصير العالَم؟

يُمسك الشمعدان، ويجوب أطرافَ الجحيم ... يريد أن يعرف تضاريسه ... لم يشرب سِدرًا قطرةَ خمر. وهو في السفينة، خاف أن يَسْكر ويفتح السفينةَ ... خاف أن يَسْكر ويطلق سراحَ مساجينه.

بعد الفجر، تطير الديوك في الهواء ... بعد الفجر، يدرُز جسدَها ويضع تحت جِلدها البُذور ... بذورٌ مختلفة يسقيها المطر وتلعب السلاحف تحتها، تلطَّخَ الحائط بالطَّلع وبالحنَّاء ... يلطِّخ القصرَ بالدماء ... في اتجاهٍ مضادٍّ يذهبان: هي إلى الشَّمَسوت، وهو إلى التابوت.

يُمسك الشمعدان ... كلُّ واحد يتدثر بعينَيه وينتظر.

اللُّغدُ العثمانلي ونفخة الشوارب وعُنف الطراوة ... هذا الولد المتبَّغ ... المعطَّر.

ليست هناك مانشيتات مثيرة ... وقفتْ معه قُرب البنايات الساقطة ... ماذا فعلنا بأنفُسِنا؟

أشهَقُ وذهَبِي مبتلٌّ، يظهر مع الْتماعات أفعى المدنِ المخرَّبة اللاهوتُ والموسيقى صناعةُ الأشدَّاء.

ما هذا الكِير ... ما هذا المنفاخ الذي يدفع بنا في هذه الدهاليز، صوتٌ فخيم يطير، خيطٌ لتسويكِ الأسنان في يده ... وفي يده النصوص السِّرية.

شمسٌ تهطل من شفائفكِ
شمسٌ تهطل من المزاميرِ
شمسٌ في الزرازيرِ
شمسٌ في رُبى الخيلِ
شمسُ الطَّاس والترباسِ

المرأة علامةُ أسراري وكهوفي ... أمسح بمنديلها كبدي.

المرأة تمزِّقني، ترى كلَّ شيء وهي صامتة، ليست أكثرَ من عين، ولكنَّها مُصيبة.

دخلتُ في منجم البوبلين والساتان الأخضر الصفصافي والأصفر المشمشي، في يدي تبجيلُ الخمرة.

دخلت إلى الأبسو العميق ... العيون الخفيَّة للمياه ... زوجُ الظَّلام والرطوبة، في يدها الزهرة الناحلة لأُحييها.

دخلتُ إلى الدم العاجي وترنحتُ فيه. في يدَي «بابا» طبيبةُ ذوي الرُّءوس السُّود.

كان «ننازو» ثعبانًا و«ننكشزيدا» ثعبانًا الْتفَّا على عصا الراعي وصارا رمزَ الطِّب.

أمَّا دامو، فيجري في نسغ العصا إلى الأعلى، خلاصته التِّرياق.

نار السُّم ... نار الطِّب والرضاعة ... نارٌ تلسع أيامي.

شمسٌ من قيمر تتلبَّد في وردتها، خِضاب من خدِّي يتسرَّب إلى ثديها الحارِّ وهي نصفُ عاريةٍ ومجبَّرة والجبسُ يغطِّي رجلَها.

القارورات الغريبة الكحلية والطبول ارتفعتْ، التَّفتُّت الشمعيُّ ليدَيها في يدي.

قالت: «الرجل غير اللعوب ليس من فصيلة الرجال.»

حاملُ مِشعل المصابيح أبو الفتايل يرشُّ ضوءه ... فيأخذنا عُرسٌ محلوج مغزول منسوج.

ليليث أنجبتْ أولاد الليل ... ليليث أخذتْهم إلى الملاهي والبارات وعوَّقتهم ... ليليث حوَّلتْهم إلى أجناسٍ أخرى.

الفصل التاسع

أكباد متفسِّخة اسمها نصوص

كاميرا تتجوَّل في هذه الشوارع ... يبيعون كلَّ شيء من التراب إلى الإنسان ... والخُردة تملأ البلاد.

كاميرا تنفتح داخل أجسادهم ... الجهاز الهضمي رطب، الجهاز التنفُّسي جافٌّ ... الجهاز العقلي تلف.

غدَّته الدرقية تتصل بالنجوم وتنتظم ... اكتشف بأنَّ المخَّ غدَّةٌ تفرز الأحلام أثناء الليل وتفرز الكلامَ أثناء النهار.

الأحلام والكلام أشياءُ غير ملموسة ... المخُّ غدَّة فريدة من نوعها، قلَّب بعصاه عن بُعد، وهو يخترق السوق، أكبادًا متفسِّخة اسمُها نصوص ... ومضى سادًّا أنفه ... رائحتها مقزِّزة، هذه المرة، أكثرَ من أيِّ عصر.

مرَّ حامِلو تابوت بشَّار ... قتلوه ليلةَ أمس، أتباعه يرشُّون خلفَ جنازته الماءَ ويده خارج التابوت تتهدَّل بزهرة. منظر يحنِّن الطيور ويجعل الناس يحبُّون الشعراء أكثرَ، شاعرٌ خارجَ البلاط مدمَّى ... ربما أشاعوا عنه أنه اشتغَلَ بالكيمياء أيضًا.

ذهَبَ بشَرٌ كثيرون من أجل هذا، وتعذَّب آخرون. نصوص الخمر والشمس تشتعل في الشوارع، والناس يشيلون أكياس الخضروات، ويركضون وراء السيارات. ماذا دهى الناس أولاد المَلَق؟ ... أولاد الفَلَق. ملامِحه اليومية لا تنقطع، نِصفها مدفون في أقدامه ونِصفها في عيونِ الأعمى.

أوراق شاردةٌ في الشوارع ... أوراقُ الكتب والمحاضرات ... ما هي القصة بالضبط؟ ما هي قصة القيثارة التي سقطتْ من سومر في الماء؟ ... ما هي قصةُ الصليب الذي ضاع منها وظهَرَ في أورشليم؟ جلجَلَ خردته في جيب بنطلونه.

ليست هناك فراديسُ، بل أقبية وقببٌ متقلِّبة ... الأب هو البحر — برج العذراء — والنجوم المولَّدة في القوس الذي تنتصف هامتُه تحتَه.

براميلُ تقع من اللُّوري وترتطم بالأرض وتتكسَّر ... يسيل منها الخمر.

أشعَلَ عودَ ثِقابٍ، وبحَثَ عن خاتَمه في المكتبة.

هلا بالجنجور ... هلا بالعصفور.

هلا بالمرمور ... هلا بالثرثور.

بعد أن تكثَّف بخار الحمَّام على المِرآة، كتَبَ: «أحلام ١٩٧٢.» انطفأ عودُ الثِّقاب ... إله الريح يجلس نشيطًا على شباك المكتبة ويده على خده ... ينفخ.

هلال يطلُّ على الشارع ... قوس كفَلِها يشبه الهلال.

قالت له: تمارس الحُب معي بقوةٍ وصبر كأنَّك في مارثون!

قال: نعم ... سرى صوت الذَّهب في عِظامه، وقام يغسل يده بالخمر ... ويضع الحمامة الحمراء على كتفه، ويذهب إليها لمَضَ طحاله، وارتجَّ جردل العسل تحت ثوبها الشفَّاف.

في الكلية ... سطوة الفنون السِّرية، ورائحة النساء المختلطة برائحة العِظام واليود ... تتداخل في أنفه، وإيروس يتلوَّى وفي يده مِظلَّة.

مراتب الظهيرة تعلو ... البُخار الملتوي.

جاء إليَّ في عزِّ الحرِّ وقال يريدونك، الصخل ابن الصخل لا يمكن أن ينعدل ... لا تنفعه الكتب ولا الخمور، أذهب معه إلى مكانٍ قُرب مصيري، جامات الغضب تتطاير.

البرق يُسرِّع نضوجَ البقول.

يرشُّ النجومَ على جثث الموتى ... يا بُعد أهلي ... لماذا ذهبتم مبكِّرين؟

لماذا لم تشاهدوا آخِر المهزلة؟

في يده اللسان الذابح ... الليل مرفوف، والورد يطوف.

خرجنا إلى الشارع لنلمح الفرَج ... اليرقات تتطاير في الشوارع، هو يدفن أبوه وابنه يدفنه، والجارُ يدفن الجارَ، والليلُ يدفن النهارَ، والحاضرُ يدفن الماضي، وكرامر ضد كرامر، وهاملت بلا هاملت. ما هذه الفوضى؟ ... الحبوب سكَبَها أمامي، سكَبَ الحبوب ... سكب.

لنُعيد الكرَّة ونرى الشوارعَ بعد الحرب ... غيمة تشير له ... يتمشَّى ومعه صمٌّ أزهارٍ ذابلة، وتجري خلفه الخِراف، شفيع البلدة ... يدُ الشمسِ ترعى طقوسَ ذبحِ

السومريين، يد الشمس تشوبهم ... يدُ الشمسِ تدفنهم، ديكٌ ودجاجةٌ ملتصقان من الذَّنَب ... رائحة الخمور تفوح من أفواه القِحاب.

يا خرابي، يا ريحان الليل!

الياسمين تاب، وأنت المحترم.

خذْ مخلوقاتك وانهزم، لامَسْ حبَّة الفؤاد ... لامسْ حبَّتي، في يدي الخبصة.

المرتِّلون بدلًا من أنصاف الشعراء ... هكذا أقرر أن يطلق على مَن حوله، فرقَعَ أصابعه وتثاءب.

ماؤك ... ماؤك في البنطلون، وزورقك في السماء.

القرص التعاويذي في يده وهو مستعد الآن لدخول صالة الكروم يفحص صناعة اللذات ويقومها.

زغبُ إبطها أصفر، ورغباتها تثرثر وتغلي.

والاكتناز الرخيم ... الكبد المتضخِّم للثور أصفر ومسرسح البكلة ... القحوف المحطَّمة في الأهوار، هرمس المسَور تحت تعاويذنا وشهواتنا.

يُمسك العصا ويقوم ... يا الله ... ذهب ليهشَّ الذِّبان عن الشِّعر ... يتريث قليلًا هو وغسان ويدخلان بارًا ... لا يصدِّق أنه يحمل أول نسخ سفر سومر ... بيرة باردة ... يتصفح الكتاب ويتأمل خياطة النصوص ... لقد مَنْتَج كلَّ أساطير سومر وأشعارها، يعتقد أنه هوميروس عراقي وهمٌّ عظيم يساعده على التقدم.

الفصل العاشر

درَج نوح

تعالَ يا صديقي تعالَ ... تعالَ نتَّصل بنوحٍ، ونفهم منه القصة بالضبط. انظر كلَّ هذه الأسلاك! وُجدَت لنتصل بنوح، والآن التليفون بيدي، دِر هذه الحروف: نون، واو، حاء، لام، ميم، كاف.

– ألو ... ألو، الصوت بعيدٌ ويمرُّ بالمياه.

– ألو ... ألو، نريد نوح، لا ... لا. نوح وليس نون، هو نفسه. حسنًا، قُل له خزعل ومنصور من بغداد.

– ألو ... ألو. نوح ... شلونك.

سؤالٌ واحد ... آسفان ... أزعجناك، رجاءً أردنا أن نسألك:

- هذه الملَّة التي نحن منها؛ إلى أي ابنٍ من أبنائك تنتسب؟
- نريد أن نعرف النسب حتى نحلَّ بعض المشاكل الحالية عندنا ونفسِّرها.
- أيْ نعم ... الملَّة التي نحن منها الآن، صاحبة هذا اللسان الذي أتحدَّث به معك.
- معقولة ... يعني لا يوجد لها جَد ... نوح، أرجوك ابحثْ بالسجلات، بالقوائم أرجوك.
- أي ... أي ... أيْ جدُّها بالغلط رَكبَ السفينة ... أي، يعني أنت لا تعرفه.
- شلونك أنت زين.
- نحن ... نحن عائشون بالضَّيم ... بالضَّيم، ليس باليمِّ.
- انتهت المكالمة نوح، لا يقبلون أن أطوِّل أكثر ... مع السلامة!
- ألَا تستطيع المجيء إلينا ... نوح ... اعمل لنا شيئًا.
- قطعوا الخط.

ألمْ أقُل لك إنه تأريخ غامض مقطَّع ومُدمَّى ... ماذا نفعل الآن؟

- نُطيل أسلاك التليفون؛ فنتصل بآدم، ويحلُّ المشكلة.
- المشكلة لا يحلُّها آدم ولا حواء.

المشكلة تحلُّها الحيَّة ... الحيَّة فقط.

الفصل الحادي عشر

المرتِّلون ينهضون من النوم

اسمع أيها العبَق ... اسمع:

المرتلون ينهضون من النوم
أدوات عزفهم معطَّلة، يحيطون
في كلِّ ساعة، ويبتهلون
حشوات الصدر، واختلاجات الحنجرة.

اسمع: لماذا لا تأتي معي؟ دوِّخني بالدخان، وأدوِّخك بالرمَّان أفضل من هذه الهلْمَّة.

صُنع المزاج بالتطرف أحلى
صُنع المزاج ربَّاني
صُنع المزاج حديد

تحت ليفته وهو يسبح، يشتبك الغار مع الذهب، يشتبك الورد مع الضوء، مخطَّط بالشمس كأنه بحرٌ مسمَّك. ماذا يفعل بكلِّ أُبَّهاته هذه؟

اسمع: اسمك يطلع بين البساء، اسمك يرتفع بالطلع وأنا فرِحٌ بنفاختك تطير من بينهنَّ وترتفع، فأُمسك بها وأرتفع معك.

يدفع بمِكنسته بقايا أكلي البرتقالَ، وربيع الخرافات الناهضة في هذه الأرض ... السمك تتطاير حوله أورفيوس، يتكوَّم محاصرًا بالسهام في دجلة، إنكي يبكي عليه ويشهق.

كيف استطعنا رفعَ كلِّ هذه الأنقاض؟

رفَعَ الكلبُ قدمه الخلفي الأيسر، وبال في البحر، وبعد أن أنهى بولته قال: مياه كلِّ هذا البحر خرج منِّي.

يدووووور ويلفلفلفلف عرقه من بين عروق أولاد الشوارع، أكتافها تنتفخ وقدمها يطول، إبَر تبزبز، إبَر تهزهز، إبَر تحلحل ... كلمات.

تصعد على سيقانها، وينوح تحت تنُّورتها كلَّ مرة.

أُمسك الشخاطة.

وأريد أن أحرق أبنائي؛ خوفًا من الجوع ... أمَّا أنا فسأحترق رأسًا؛ لأني ما زلتُ صامتًا. مربرب بكدْحِ الأمواج والأرصفة ... السجاد الأخضر السندسي، خلاصة الحشيش، في يدي الشَّعر المجعَّد، هذه عصا الكاهن أم عكازتك؟

احكِ الحقيقة ... أم هذه عصا السائس الذي يسوسك؟ احكِ، الفارُّون ينهزمون تحت المطر ... تطفو جثَّة سوداء مبقَّعة للتأريخ فوق دجلة، ويطفو رماد رشقته قلعةٌ لاهوتية موسيقية، علَّمتْه تأريخ الرُّوح.

كيف إذن سقط لوسيفر مع الضوء ... لماذا لم يسقط مع قِطَع الظلام؟ تحوَّل إذن؛ تحوَّل من آدمي إلى طير، ثم إلى قِط، ثم إلى عقرب، ثم إلى بُخار ... هبل معناه البخار.

عاد به البخار سكرانَ إلى البيت، وخطَّ بقلم الحمرة تأريخه السريَّ على المِرآة ... وحين أفاقت زوجته، قرَّرَت الانفصال عنه:

البذيء ... الشاعر ... الداعر ... الغنوصيُّ ... المنذور للقطط هذا.

الفصل الثاني عشر

حيَّة ننكاسي

حذاؤه يلمع وهو ذاهب إلى العالَم الأسفل ... سكران طينة، شاوَرَ الريحَ وجُعَلَها، يصيد الثعابين ... ابن المخمل ... ابن الأقاصي، أبعد من الشكل الآدمي، أبعد ممَّا يُخطَّط له بالضبط. نظَرَ في لغزٍ عقلي؛ فزاغ السراط ... زاغ بدنه ... لغزٌ أولي مهلِك ... الكتابة في المغاوِر أكثرُ جدوى ... الحنين في الرَّحِم أكثرُ سعادة ... كان غطيطُه يشبه الغِناء. رشُّوا العنبات بالماء حتى يولد، رشُّوها.

مَن سيشقُّ الكيس؟ مَن؟

مَن سيطوي صليبِي؟ مَن؟

مَن سينير نوري؟ مَن؟

مَن سيسلط المحراث على النجوم والسماءَ؟ مَن؟

مَن سيشقُّ مَزارِعِي؟ مَن؟

مَن يجلب الثور لي؟ مَن؟

مَن يجلب المرأة التي فوق الثور؟ مَن؟

مَن يجلب التاج الذي فوق رأس المرأة؟ مَن؟

قماش الذهب في يدي، ونريد أن يسقط من الرَّحم — ولا يسقط — بخور لجذب الأجنَّة ... يزداد البخور، والصراخ يسقط من الرحم.

حذاؤه يلمع ... يتخطَّانا، وينزل إلى العالم الأسفل في مهمة كونية ... مَن تراه يكون؟ ... نزل وعمره دقيقةٌ واحدة.

مَن تراه؟

كان الثلج ينزل ... ترك نصف كأس الجن قربَ المسجِّل ... جرس، عسكر ... غياب.

ذهبت كلُّ جهودك مع الريح ... تمزقتْ عقائدك، كانت الأمور تحتاج لمثل هذه القشَّة؛ حتى تنفصم. الرسن، الرسن دائمًا في يدي أو رقبتي أو على فمي ... متى أستطيع أن أفعل ما أريد؟

بدأنا نأكل الحشيش بسبب الأوهام.

ظهرَت الشمس والْتمعتْ خواتمه، وغف الصابون في كاسةٍ، يزيد ويلمع وهو يحلق لحيته بهدوء، ويفكِّر في كتابه القادم.

ننكاسي تعطيه كأسًا؛ فيشرب، لكنَّ كمانه معطَّل ... ألف قنبلة تنفجر؛ فيخرج الجنُّ كلُّهم. ماذا دهى الأساطير؟ خرجتْ من خرزها، ولفَّت بغداد ... انزل ... انزل.

يا عصفور انزل ... انزل يا طيَّار، وكفى ضربًا.

كنا نطيِّر طياراتِ الورق، أُمَّات الذيلِ الطويل ... ينتهي خيط البكرة؛ فنعقد خيطًا آخر، ونبعث رسالةً للطيَّار. كان الخيال يفور في الحرِّ وطيارات الورق تملأ القوسَ الذي فوق السطوح ... والأولاد ينامون وفي أيديهم البَكَرات.

ننكاسي تُعطيه دنًّا كاملًا؛ فيشرب، ويخرج في زيِّ التخفِّي.

دخل إلى البارات، ورأى الشعراء على حقيقتهم: كانوا يُخفون تحت ملابسهم الأسلحة، والمسجِّلات، وكلمات الأغاني الرائجة الرديئة. في زيِّ الحراسة دخَلَ إلى صالات القمار، ورأى أصدقاءه كلَّهم يلعبون بكُتُبهم. في زيِّ الطيور دخَلَ إلى بيوت الشعراء، فرأى مَداجنَ دافئةً يبيض بها الشعراء الدِّيَكة الذين نعرفهم دون حواجز. في زيِّ العَضاءة دخَلَ إلى الاستوديو السريِّ للسمفونيِّ المتطرِّف، ورآه يسمع مسعود العمارتلي بجنون. في زيِّ الإخلاص دخَلَ إلى بيتِ امرأةٍ لا تعرف إلا الإخلاص، فرأى ألف يدٍ تمتدُّ إليها فلا تملُّ.

ماذا يفعل بكلِّ هؤلاء؟ يهجم عليهم، ويعضُّهم واحدًا بعد الآخَر ... يعضُّهم من الزردوم.

الفصل الثالث عشر

حسنًا ... كفَّ عن تمشيطي وتعالَ قبِّلني

في منعطف الشارع، نزل إنكي وترنَّح في مشيته كالطاووس، يحمل الفِجل والطماطة ... يا له من ماكر! كان بالأمس يحمل الكلاشنكوف ... اركضْ ... اركض، واعملْ زلاطة وكلْ ... إله الماء يستجدي الخضروات، مبهذَل وأيديه مسخمةٌ من العمل ... ما الذي حصلتَ عليه يا إنكي بعد كلِّ هذا اللَّهط؟

هل تذكُر أنه في يومِ كذا ومكانِ كذا، قام أبو العلف، وطاف في أركان البيت، وجاء بالخيار والبقول والكرَفْس والكرَّاث؟ علف أكثر ثم دار، ودار مثلَ خروفٍ سمين، وكشكَشَ ثوبه، وأردانه تلمع ... والجرس يرنُّ في رقبته.

ثم ظهر قصَّابه من بين الجدران وجزَرَه.

أنت الآن في مرحلة الخروف يا إنكي ... اعلفْ ... اعلفْ أكثر وسترى.

كلامُ نيق ... كلامُ مرتاح ... كلامٌ غرغَرَه؛ انظرْ ... انظرْ إلى مزرعة الخيار واركضْ عليها ... صارت مفرَّك الأخير.

أسطورة سمفونية.

سوناتا عِصابٍ وغموضٍ ورُقي.

شَعره مثلُ العرفِ، طائرٌ في الهواء؛ وخدوده مصابيح ... سَنْطُور يده يعزف للنعسان ألحانًا ... حصانٌ يقفز تحت عجيزته.

تنفتح الكاميرا داخل ماضيه؛ فينفرج على فراريجه يدخلْنَ ويخرجنَ من غرفته بالفندق وهو يشرب الفودكا ولا يملُّ.

جَمالك ذلَّني يا فُراته.

تزرع في الطاسة ... حليب وياسه، وترشُّ ماء الورد على الجالسين في العرس، لون ملطَّخ وغزير، يفرك الليل، تغلبتْ عليه عيونه ... وعيونها لمبة ... وعيونها دق الشمع،

وعيونها سكرانة. اللبنُ المخيض يدُها ... اللبن المخيض الشكوة. عندما ذهبت؛ تفطَّرَت الشكوة، وسال اللَّبن منها، وعلاها الذُّباب. لا أريدكِ هكذا ذكيَّة وشاطرة وتعرفين الأماكن التي أضع فيها خمري ... أريد حقًّا من عسلِ ... أريد غيمةَ النار ... أريد امرأةً تزرقُّ في النشوة، وتزرِّق العقلَ الشفَّاف والعقلَ الشغاف ... أمَّا العقل اللحاف؛ فسأتركه لأعدائي.

إذن، المرأة تقتفي خطواته في الشارع، وتسجِّل حشائشه وصنوبراته. كلُّهم سلَّطوا المرايا عليه، وبدءوا يسجِّلون لغته الصامتة الحبلى، التي تلد أساطيرَ وملائكةً ... لغته التي تلد أمعاءً لا نهاية لها.

القراءة والكتابة بهذه الطريقة عطل الحياة ... العيش أفضل.

عيونه عيون الباز، والنساء عاريات تحت المطر بانتظاره ... اركع تحت القربان ... اركع يا ولد ... نذرناك لحُب النساء والصعود معهنَّ إلى الفنادق ... نذرناك لصناعة النبيذ ... نذرناك لبخورهن ... نذرناك لصم الماس ... نذرناك لورد الرأس ... نذرناك لتُغوي البنات ... نذرناك النهار ... نذرناك.

كانت امرأةٌ تناوله المشط وهو يمسُّ ثديَيْها بركبتَيه، يمشطها ويبكي:

– لماذا تبكي؟

– لأني أحبكِ.

– حسنًا كفَّ عن تمشيطي وتعالَ قبِّلني!

– أخاف!

– ممَّ؟

– من قوة حبي، تقتلكِ.

– أريدها.

كان يحلب نفسه عندما يحبُّ ... كان ينسى ... كان يعمى ... كان ينشل، وكانت أعضاؤه بعضها يحبُّ بعض ويأكله ... كان يتبخَّر، ثم يسمها ... كان يتعالى، ثم يقبض على أعماقها ويصرعها.

ماذا يفعل إذن؟ ماذا يفعل؟

اعترفْ ... اعترفْ وقلْ ما بك، تتسلَّق على الأشجار وتصرخ وتلطِّخ أيديك كلَّ يوم بالخِضاب؟

– أخشى أن أقول، فلا تصدِّق.

– لا ... قلْ ما بك؟

– شبقٌ جامح يعصرني ... فلا أعرف أين أسرِّبه ... لا يدَع طولي طولًا، ولا يدع ميزاني عدلًا ... شبقٌ شهواني أحمر يستعمر جسدي ويقليه ... شبقٌ كحولي ... شبقٌ نُهودي، شبقٌ كُفولي ... شبقٌ بروحي ... شبق تُموري ... شبقٌ علي ... شبقٌ شمالي ... شبقٌ جنوبي ... شبقٌ.

– فلماذا تصعد على الأشجار حين ينتابك؟

– لكي أنسى.

– حسنًا ... هل تشعر أن هناك مَن يتبعك؟

– نعم ... من هناك جاءوا ... من هناك، الذين لا يعرفون ثَني رُكبهم، ويأكلون اللحم غيرَ المطبوخ ... والذين لم يعرفوا طوالَ حياتهم سكَنَ البيوت ... والذين لا يدفنون موتاهم ... الذين لا يعرفون ثَني رُكَبهم، دخلوا بغداد وحوَّلوها إلى زريبة ... حوَّلوا العمارات إلى إسطبلات.

– حسنًا ... حسنًا لماذا يا دكتور جان دمو تركتَ المِقصَّات والمشارِط في بطنه؟ وأنت أكثر مَن يرعى حقول البتولية، وتأمر بتنظيف الشراشف وأرزاق الممرِّضات ذواتِ الصليب.

لم يُجِب ... ترَكَ مركز الشرطة الكبير هذا ... ووَضَع عقائده في بنطلونه، ومضى في الشوارع يمسح رئتَيه بالعرَق والفلافل ... كمْ مضى وهو مُنطرِح هكذا في الفجر ... والآخَرون في الغروب؟

لا فائدة تُرجى منك ... كلَّ يوم تذهب إلى المستشفى، وتراقب أيدي الراهبات البيضاء المُسلفَنة ... ماذا يدفعكَ إلى كلِّ هذه المقالع المرمرية؟

عالم القبالة ... الولادة ... والتصوف الغيمي، أَم جزالة الجروح، والجسد أخذ صمَّ نشادر واستحمَّ به ونشَّط جسده كأنه خرج الآن من معجن الصلصال، وآثار ننماخ ما زالتْ على جسده وهي تعجنه؟ ... فتَحَ صدره؛ فقفزت الحيَّة، ونزلت معه من الفردوس، ثم ظهر هذا النطاسيُّ الواقف بين العِظام والذبابات. هاكم عواصف النور.

– لماذا تتحدثين عن غريمي؟ أنا المُلتاع ... الملتاع ... أنا الهائم النشوان، ماذا لديه أكثرُ مني ... إذا أعطاكِ الحُب سأعطيكِ، إذا أعطاكِ المال سأعطيكِ السمعةَ معه ... إذا أعطاكِ النسل سأعطيكِ الحكمةَ معه ... ماذا لديه أكثرُ منِّي؟

عندما ماتتْ عشتار تركتْه عند امرأة من العمارة، اسمها جسُّومة.

– اسمٌ آخَر من أسماء عشتار ... وتولاه أبٌ صارم وضَعَه على الطريق ... انقرض توليد إهداءِ الزهور ... لو في يده؛ لأهداه ضبَّةَ وردٍ قويٍّ كالحديد... دمٌ ينفجر من يافوخه

ويلطِّخ أركان البيت، ماذا كان يحبُّ؟ أحشاء الطيور والحيوانات ... شهيته باطنية، شوربة الحواصل والأكباد ومرق الكلاوي ... تكَّة القلب المرشوشة بمسحوق الخبز ... ثرب السمك، كان يتتبع الأعضاء ويصِف طريقةَ أكلِ كلٍّ منها.

أحلام الجحيم تتوافد في رأسه ... والطعام يقلُّ شيئًا فشيئًا، الهواء الداكن المشبَّح، المتَّبع العنيد الصاعد في كلِّ وهن.

درنات البطاطا تنمو في جنطته ... معه مزاميرُ تموز، بعضُها مراثٍ وبعضها أفراح.

رضع صوتَ أمِّه؛ فأحبَّ صالاتِ الغِناء.

في يده وتحت جرَّاته الفخارية، ينبت حشيشٌ وتتلاعب حيَّات أريدو، طول كلٍّ منها عقلةُ إصبع ... أجذبك ولو كنت جبلًا، وأجذب أهلك معك وأدوخ، وكلَّ مرة أروي قصةَ آدم ناقصةً، قصة آدم وأحلام ... آدم والملائكة ... آدم وليليث ... لا يمكن أن تكتمل قصة آدم.

حسنًا يا أوهامي ... حسنًا؛ سنؤمن أنَّ الحياة مكوَّنةٌ من طبقةٍ واحدة ... طبقة ما يحدث أمامنا ... الطبقات الأخرى، خرافاتنا، نزيِّن بها الطبقة الأُولى، إذن ما هذا الذي أمامنا؟

غزلان تخور وتتمدد في الشارع.

وتحت فراديسه أوقيانوس مضطرِب وملفع ... آلاتٌ تصهل ... آلاتٌ تنهق ... آلاتٌ تبكي، طاغٍ يسربل القوةَ من يده، ويدفق الوهج السيَّار، النار تمسُّ القلب، يتعطل شيءٌ في المكان ... ربما عرق في النبات! أسمع نايًا وسطَ ضجَّةِ هذا السوق ... نايٌ يفتن.

نايٌ يعلو.

صيحةُ آه الصيَّاحة.

نايُ رجلٍ مفلوجِ الرأس، تبحث عنه زوجته لتسلِّمه الشياطينَ وهو من بلدةٍ لبلدة يختبئ ... عنزاته لحاها مضرجة بالتراب، ومِشجب أكوابه مكسور ... أي يملأ أذني؛ فأشاور الريحَ وادعًا أسطولًا من الدُّمى والتماثيل واللَّقَى، يظهر وألمح جزءًا مهدَّمًا من سُور بغداد المدوَّر، يجلس عليه مجنونٌ وفي يده قصبة.

الفصل الرابع عشر

درَج البروج

قمَّة برج الحمل ... أصابعه ببرج السرطان، قيثارته في الميزان، كبده القوس، يدخل فيه المشتري ... بماذا سيبوح هذا القلب العقرب الذي يقطر ماسًا، عيونه ترى الجدي، شفاهه تخور في الثور ... حرارته نباتية؛ ولذلك تسلَّق في الليل إلى الدلو ... كان يترك فأسه في الماء، كانت الجوزاء عضلاته ... دار دورةً واحدة، وسقطت حنجرته في الحوت. غنَّى عن الحوت عندما بلعه «يا نون ... يا ليل ... يا عين». وخزةُ ألمٍ في اليد ... دمعُ الشمع يملأ الصحن.

الْتصق بك الكالا ... الْتصقت بك السحليات، لا أبَ ولا أمَّ تريد العودة إلى التراب.

حرارةٌ نباتية بين سيقاني ... حرارة الشفلَّح ... حرارة الوكيح، شغفٌ يتسلق في عمود النور. المناحة حولي وأنا أصعد فيه، أحمل تميمتي وأضيع في الليل، ولكني أصعد فيه. نقط الليل ... ونقط الشمس مطحونة ... ولكني أصعد فيه. اضربني على الطبل من أجلها، ولكني أصعد فيه.

تشير إلى أخطائها وتحتها ... سأصعد فيه.

عضَّت شفتها ... أَخ.

السرور يملأ أطلسه، وأطلسه يملأ نوني ... سأصعد فيه.

الأقدام عارية ومحناة ... سأصعد فيه.

أصعد فيه ولا أَبين.

نهاية الزمن تشبه القبضة ... داكنة وعنبريَّة.

ذهب إلى نهاية الزمن ... قال أريد أن أشوف ... ولم يعُد. كانت الجام المكسورة تملأ السماء.

يكبس هويته وشهاداته، ويتجول في الشوارع ... الحشيش ينمو في دماغه.

نفَّاثة الزمن لم تتوقف مدخنتها ... كلَّ عصر يصلي لإصبع، والإصبع تلوي رقبةَ الجماعة.

القراءة فعلٌ أنثوي، والكتابة فعلٌ رجولي؛ وكلاهما مَضيعةٌ للوقت. زجاجةُ عرق تلعلع مخَّه هذه الليلة ... خفاراته مع الأجراس الخفية، عطشه المروِّع للبنات ... يستره بالأدب واللُّطف، متاهةٌ تتَّسع مثل طاولة ... خفافيش ومنازل مثل القصور، بزلتْهم النجوم وألقتْهم من منخلها على هذا الطشت.

ماعزاتي خرجنَ من القبور ... ماعزاتي الساطعات بالحليب والنهار لغمر البلاد.

عن ماذا يبحث في هذه الشوارع الطولية: المال، أم المرأة، أم الخلود. منشنش أليس كذلك؟ يا لك ويا لهم! ... لم يشطفوا الشوارع من الدماء بعدُ.

مزودات السحاب تزداد عويلًا ... البرقُ، غضبُ الربِّ علينا.

حسنًا قلْ ... قلْ ما هي آخِر الأشياء التي تحبُّها؟

– الطوابع التي على المطر.

غفران هذا الورد، مسحتُ أخطائي.

غفران أخطائي، مسحتُ بها رغباتي.

غفران رغباتي، لم أنجزْها كما يجب.

غفرانها؛ بررتُ عقلي الصغير.

غفران عقلي، داسه البعير.

غفران قلبي فارغ.

غفران وردي في الزريبة.

غفران مهدي في اللَّحد.

غفران كبدي منسوف.

غفران هذا الوطن ... مجرَّح وملفوف.

غفران هذي السماء ... ممزَّقة.

غفران هذا الهواء ... مسخَّم.

غفران غفراني؛ لكيلا أعيش.

أشوِّش على ماضيَّ كلِّه ... أخربطه ... وأطلق عليه ألفَ رصاصة؛ ماذا جنيتُ سوى هذه الأصابع العَشْر الجائعة لتناول الكأس.

ماذا جنيتُ سوى عيونٍ مزيفة وذيولٍ سوداء وآذانٍ بلا أقراط.

بشرفي ... كلُّ ما نفعله زائف.
بالقوة نرقِّع جيفتنا؛ لتصبح أحلى.
بالقوة نستر عوراتنا بالشعر.
بالقوة نظهر خارجَ الحشد.
بالقوة نبدو على شكلٍ منفرد.
تعالَ وانظرْ إلى المستنقعات التي تركناها خلفنا.
تعالَ وابكِ معي على كلِّ هذه البساتين التي لم نُحسن العناية بها.
تعالَ وانظرْ فضيحتنا ونحن صاغرون لكلِّ شيء.
عيوني تحجب خشمي، وخشمي يحجب أذني، وأذني تحجب حلقي، وحلقي يحجب الحقيقة ... لماذا؟ لماذا؟ ولذلك علينا أن نتحاسب.

الفصل الخامس عشر

بدأ الكسوف فامتطى حمارَه

بدأ الكسوف؛ فامتطى حماره، وأخذ جوقةً من الأطفال وراءه، يقرقعون بالملاعق والسكاكين ... ويسألون الشمس المحتضرة طعامًا قبل أن تموت.

كلُّ أسماء البروج سومرية ... أمَّا مصادر الحظِّ فمجهولةٌ، دائمًا زهرات. السماء في يديه وهو يتفحَّص تقاويم المناخ ... يرصد التنين أم يفكُّ معادلةَ نجمةِ المحراث؟ ... كلُّ هذه مخاوف، وإلا لماذا هذه الرشقات الخفيفة من الظلام أثناء النهار، ثم أن كلَّ المشاكل تكمن في يده؟

كانت شاطرةً في الجراحة والتطبيب وفي التهييج ... تقطع وتحيط وتعلو وتفرك وتلمس وتهمس ... لمسةٌ من لمساتِ السِّحر والخفَّة ... أين وضع اليد؟ في جيب بنطلونه مع الأسف.

في يده شرائع السماء والأرض ... في يده الـ «مي» ... إياك أن تضيع الـ «مي» منك ... إياك أن تنفرط ... ثم يجب أن تحذر من أن تقع منك في ساحة الأندلس وأنت تخرج في آخِر الليل.

أين ذهبتْ مفاتيح المعابد الكلدانية؟ لمح واحدًا منها بياعٌ في الباب الشرقي ... وآخَر قُرب المتحف ... يدمدم أمامَ المتحف (أي كاتب هذا الذي لا يجيد اللغة السومرية: دُب سار إيمي زير نو مو أون زو ئا أي أنام أم دب سار أي ني) من حوَّل لغتنا ... مَن ألغى كلَّ هذه الذاكرة؟

كان كاهنًا فأخطأ الطريقَ، وأصبح شاعرًا لكنَّ الهدفَ ظلَّ نفسه ... ها هم يردِّدون صلواتِ الشُّكر بعد تجوُّلِه في العصور ولباب الخمر في يده ... وفي يده الملَق حتى يعيش ... هريسُ لحمِ حمص، شعر، أغانٍ، كلام ... لكنه قربَ المتحف يرى كلَّ يوم صفوفَ النادبين تتجمَّع، يلبسون الأسود وقمصانهم ممزَّقة من الخلف عند عظمَي الكتف.

الْتهبت عروقه، وصعد في عيونه الشمعدان ... السمك النابض، والأشباح الزراعية البدائية المتصلة بالمطر ... سحر الماء ومكره، ونسخة الصاعد في سيقان النبات ... نقطة الضوء التي تصارع الظلام — الماء في باطن الظلام — عرق ماسٍ في مَنجمِ فحم؛ هذا منشأ خزائيل، وقبلة ديموزي، وقبله أبو السحر الزراعي ينشِّط منطقة «العلاوي» ويهفهف بقوة قربَ حافات النهر ... كانت ديانة عشتار حاميةً شاملة، تبناها الصياديون؛ لأنهم اعتقدوا أنَّها أمُّ الأسماك، وتبناها الفلاحون؛ لأنهم اعتقدوا أنها أمُّ الثمار ... على كلٍّ، هناك مَن يلتقط هذه الأبَّهات ويعتقد بها.

حبات النور على خدِّها وهي تسوق السيَّارة ... أجنَّة ملفوفةٌ وغامضة تحت سياج المتحف ... آلاتٌ كاتبة على طول الأرصفة تدوِّن ممشى الناس وخرافاتهم.

ليس للشاعر أمٌّ ... أمُّه إمَّا إينانا، وإمَّا النخلة ... أخذ الحمام ريشي ... أخذ الحمام الخفَّة ... الدهاليز المرتشحة التي تضطرب والنجوم مخلوطةٌ مع القواقع ... خالته بيضاءُ ومغربية، ولها ظفائر شهوانية، ماذا يفعل بكلِّ هذا الذي يحمله؟ ... حمَلَه الدماغُ على أعضاء الجسد ... الحملةَ المفضوحة ... حملةُ الغرائز التي تلعب بالأعضاء لعبًا، رائحةُ المضجع المشمشيَّة ... صعدتْ في الدُّخان سرَّتها، وصعدت يدي وراء السرَّة.

سلسلةُ أساليبه لا تنتهي ... كلُّ عصر يمنحه أسلوبًا، وكلُّ لغةٍ تهبه تقنياتٍ وهو يلعب ولا يملُّ ... يتجرَّع الحنان ... يده على سمكةِ صدرها ... ومثل ممرَّدة ومطحونة، سرُّ المخضوضرة ... وسرُّ اضطرابها، وهي دائمًا منطرحةٌ في مياهه، وهو لا يملُّ من البحث في نجومها ودقَّاتها وهُلَبها، يأتي الإنسان باكيًا ويذهب باكيًا ... أين حيَّاته إذن؟ مجموعة من الجِمال تجعر أمام المسلخ، وهي ترى بعضها يُطرح ثم يسبح في دمه ... الثيران تنتصب قضبانها ... آخِر اندفاعات الحياة في الخصيتَين.

لاطَفَ طيري وغشَّني ... لاطَفَ مُهري وغشني ... لاطَفَ طِفلي وغشَّني.

أسمع همساتِ نبضه يجتاحه شوقٌ مجلجِل. تحت أعمدةٍ متراصَّة، يُشعل غليونه، دخانه مثل التاريخ يتحرك ببطءٍ، ثم يتبدَّد. بضاضةٌ أنثوية، لبَّنه نشوبُ أصابعه، ظهَرَ حامل الأختام وأفزعنا ... قلْ بالضبط ما اسم هيكلك؟

اللمعان الأحمر.

كأنه أرشيدوق خرج من صالة، وكان في يده الكمان يلمع.

تسمي سومر الحرية «أمارجي» وتعني الرجوع إلى الأم ... أي التخلُّص من الأب ... ذلك يعني الرجوع إلى الرَّحِم ... حيث الفردوس، لا أحد يملك شيئًا ... كلها في طريقها

للزوال ... ماذا سيبقى؟ الكلمات المكتوبة هي الكائنات الحيَّة ... أمَّا نحن فأتعسُ من الحجر.

قبل أن ينتهي كسوف الشمس، هشَّ على جوقة الأطفال، وأبعَدَ الحمار ... إنَّ الله ينفخ الحياةَ في النخلة. وكان طلعُ الفتيات الجميلات يتناثر على الأرصفة.

الفصل السادس عشر

حيَّة الحرب

نادى على امرأة تطشُّ الخرز، وقال لها: طشِّي فطشَّتْ خرزها، وتحيرتْ وقالت: الريح والبروق، في الصبح والطروق، مصران لو أقبل؛ فالنهار يحتار ... وإنْ أدبر فالشوك طلحٌ يابس وحبلٌ حابس. تعرف تقول عوافي.

– عوافي!

– هوَّابة هوَّابة والبرق والسحابة ... جلبته بإبرة فلمْ ... ينَم بعَبرة ... جلبته بأشفى؛ فالقلب ليس يشفى ... جلبته بمبرد، والقلب ليس يبرد، تعرف تقول عوافي.

– عوافي!

– أخذته بالينجلب، فلا يرم ولا يغب؛ ولم يزَل عند الحرب، مَن هذا؟

– أخي!

– أخوك لا يعود ... يجرُّك معه وتذهبان لغروب الشمس، تدفعان بلمها، وتجذفان مجاذيفها، لكنَّ ماءها عميق وأسود، تجرُّكما إليها وتخرج هي علينا متأخِّرة.

وأنتما تخرجان علينا في الليالي مع النجوم العوالي: أخٌ وأخوه. رأيت أرواد وإنانا وديانا وثريًّا قربَ الشطِّ يشطفنَ الملابس، وكانت صينيةُ الشموع تطوف على الماء ... ثريًّا تضع البطاطا تحت الأسلحة وفوقها يتعفَّن النشيد في دفاترها ... تعفن القنفات في غرفنا. ذهبنا إلى الناصرية؛ كي لا نموت ... حيَّة سومر تصارع درَجها تحت الصواريخ والقنابل، الحية تريد أن تصعد على الدرَج، وتنفث سمَّها على الناس.

انفتح العالم الأسفل مثل السبتتنك، وظهرت كائناته الممسوخة وتسلقتْ أدراجَ الزقورات ... أحفاد تيامت المنفوخةِ البدنية الفاطسة منذ آلاف السنين ظهروا، وظهر الدُّود من مَعاوِر جسدها يدبى علينا ... طهرت الطهارة، المستنقع ببقبق.

تعفَّنت صرخة الديك في الفجر وحلَّ محلها الدويُّ ... تعفَّن الناس وتوسَّلوا الموتَ ... قبَّلوا أقدامه (خُذْنا أو فلتكُفَّ).

تفتح ثريَّا الثلاجةَ وتُخرج ألواحَ الطين وتقشِّرها ... وأنا أقرأ في العماء نقوشًا مسمارية من نوعٍ جديد، لا سومرية ولا بابلية، نقوشٌ أخرى مستحيلة، لا يمكن أن تُحلَّ.

جاء أسطولُ الطائرات ... يا إلهي، ليلةً واحدة فقط نبقى أحياء ... ليلة!

ما الذي دهى أطرافنا؟ تحوَّلت إلى أطراف سحلياتٍ وعقارب ... لماذا نحن هنا؟

نتسلل أنا ومنصور إلى السطح، ونكرع ربع عرق دون ماء ومزة، وننظر لأسراب الطائرات ... ماذا يمكن أن تكون عليه قصيدة النثر في التسعينيات؟ قال لي.

قلتُ له: محليَّة.

إذن؛ تركنا الشوارع لهم، وخُتلنا.

أخت العالم بين أيدينا ولا نفعل شيئًا.

اللمبة في يدي وأنا أدثر أطفالي، وأزيز الطائرات يمخر.

– انظر ... انظر! صاروخ هوك أسود يمشي مثل العربيد في السماء ... انظر!

يقع هناك على سُوق؛ فينتحر ألف متصوِّف في القرن الرابع الهجري ... ويتمزَّق شملُ عقائد متماسِكة، وتظهر حشرات في التاريخ جائفةٌ مخربطة.

لَمن مات كلُّ هؤلاء؟ لَمن تعاركنا في سراديب الزمن صعودًا، ووصلنا إلى النقطة؟

اللمبة في يدي وأنا أدثِّر أطفالي ... لم أعُد أسمع سوى صوتِ اللهب، كلَّ يوم أسمع أنفاسَهم أيضًا، ما لهم أطفال؟ ماتوا من الرعب أم من الجوع أم من الوسخ.

لماذا يا دموزي ... أنت وضعتَنا في السيوف، وشويتَ أجسادنا لماذا يا وردة؟

أَلِأننا منحناك القسوة؟

نستاهل.

ما الذي نتهجَّاه في خرائط جولاتنا اليومية التائهة دائمًا؟ شكل المجزرة ... لماذا؟

خلقهم إنكي مخصيِّين ومشوَّهين، ودفعهم إلينا ... نحن نريد أن تخلقنا ننماخ ... هل فهمت؟ إنكي يخربط وهو سكران يمسك بالطين أعوجَ، ويصنع شناديخَ وإبرًا ويضع عيونًا زائدة وأيديًا كثيرةً للضرب.

كفى مسلخًا ... كفى غبارًا.

سيوف تقرضنا قرضًا ... الحرب غولةٌ مغلولة والجبال مجدولة.

– ارقيني يا امرأة ... ارقيني.

– أرقيكَ من عينِ عاثر، وورم آجر، ونظرةِ ناظر ... من برٍّ أو فاجرٍ وخفيف طائر؛ بنجمٍ طالع، وبرقٍ لامع، ووبلٍ سافع، وديكٍ ساقع ... إدعِ على الحرب إدعِ!

– لا أعرفُ ماذا أقول!

– قلْ معي: شَمال يشملكِ ... دَبورٌ يدبركِ، وريحٌ تحملكِ؛ خذْ معي هذا الحصو ... خذْ وارجُمْها!

– حصاني يُهبطك ... عصاتي تلبطك، روحي بعدَ ألف سنة. روحي، ولا يموت فيكِ القريب. روحي، ولا يموت فيكِ البعيد.

الفصل السابع عشر

حدِّثني يا ولد عن شنعار

تحت أنفي ألواحُ الشعر أحرسها، الخمر يفوح في أقصى الحرِّ، وتغطِّي فراشاته وردتي، فأنبش نصِّي المدفون في الكحول ... أنبش حتى أَصِل إلى الطبقة السابعة في الخمر (طبقة الهاء)؛ فيخرج لامعًا مثل ماسة، فأهرب به مخترقًا الأسواق والتجَّار، والعميان، والبرصان، والخرفان ... مخترقًا السوَّاق والسكنية وبائعي المخضرِّ والفافون والبرلون ... مخترقًا العارفين والذابلين والتائهين ... مخترقًا السيارات والباصات والشوارع.

أريد أن أَصِلَ إلى البيت بسرعة، في يدي ماسةُ النَّص.

أركض ... أريد أن أنقل المدوَّنةَ الماسية الكحولية المدفونة في العقل على ورقة.

من الخمر إلى العقل، إلى الماس، إلى الورق؛ هذا هو الطريق السِّري للكتابة. متى أَصِل لأصون الماسةَ ... الحية ودرَج؟ ... متى أَصِل لا ورقة، ولا قلم؟ متى أَصِل؟

دعني أردِّد فكرةَ النَّص:

«إله السمكة إنكي، وابنه خز ... إله الهواء إنليل، وابنه عل، السمكة تطير في الهواء ... فيخرج هو ممتزجًا بالوغف وهو يتعثَّر بالثمر حوله، وما زالت الأجنحة على أكتافه والزعانف قُربَ أقدامه.»

هل هذا هو النص؟ لا ... لا هذا ظهيرُه.

النَّص هو:

«الحية تركب على الدرَج، والزار يلعبه القدَر.
والمشكل اسمه طويل، والحلُّ عين المستحيل.»

يركض ... يركض.

قبل أن يصل إلى البيت، يستوقفه الرجل الكبير أبو اللحية والنظَّارة: حدِّثني يا ولد ... حدثني من أين أتيتَ؟

– من شنعار.

– شنعار! وردتْ في كتب كهانتي على أنَّها بلدُ القمر، اسمعْ يا ولد، اسمعْ ... لماذا لا تردِّد معي هذه الأسئلة إذا كنتَ لا تعرف الجواب؟ هل اليونان من نينوى؟ هل نينوى من يونس النبي الآشوري المبلوع؟ هل اليونان الحوت، النون؟ هل نينوى يونس؟

اليونان بلعتْ نينوى وامتصتْ إرثها.

هل روما من رومان، أو رامان، أو رحمان، أو الإله أدد إله الرعد في بابل؟

هل الهلال قرن الثور؟

هل الشمس هي العجلة المولودة حديثًا عندما تُشرِق وهي المذبوحة عندما تغرب؟

هل المسيح كاهن «المشماش»، أي الماسح بالزيت في بابل؟

هل بابل هي باب؟ هي باء؟ هل باء بعد الله؟ ... من أين أنت يا ولد؟

– من «أوزموا» في نفر.

– من سرَّة السماء والأرض ... آه يا حبيبي. أنت من النقطة التي كانت فيها الأرض والسماء متصلتَين ... آه يا ولد ... أنت من الحبل السُّري للكون ... افرحْ يا ولد ... افرحْ هذا امتياز لك على أبناء البشر.

ماذا تحبُّ أن تكون؟

– شاعر.

– وهل يليق الشِّعر لغيرك ... أعظم ما اخترتَ، ستكون. لقَّح الله الشرق بالشمس؛ فحبل جنوب المتوسط وطلقَ، وأنجبَ شمال المتوسط ... ما هذا الرحم الخصيب ... رحمي، ورحم أمِّك، احلفْ به يا ولد، احلفْ.

كل شيء خرج من شنعار ... كل شيء خرج من القمر، سيد الولادة وماسِك شعفةِ المياه في المدِّ وفي الجَزر.

حدِّثني يا ولد ... حدثني يا ولد، يا كلداني عن الشار ... عن السار ... عن الشعر ... عن السحر، عن دائرة الكون التي مركزها عيناك، عن دائرة الله وعن مركزها الإنسان ... رمزها واحد، مسمار عمودي.

هناك يا ولد، هناك يا خيزل، في أقصى أعماقك ينبض السِّرُّ، الشار، الشعر، عشتار، أشيرا، عاشور، ممهور، مزمور.

أركُضُ ... أركُضُ أريد أن أَصِل ... أصبحَت الماسة في يدي كبيرة. نفخ الشيخ بها والْتمعتْ وكبرتْ ... آه، أعظم نصٍّ في حياتي، لا بد أن أدوِّنه ولا أنساه ... أركض أمرُّ بالمقاهي والأسواق والدوائر، شاعرٌ موظَّفٌ صغير ... مقعِقِعٌ وعيونه ضامرة ... نور خدِّه اليابس عسلوجٌ، مثلُ قوقع ... أكثر ثقلًا من رائحة الفَوح ... يبقبِق تحت الأقدام ... يفتح كِيرَه والدنيا تمطر جمالًا، ويجعر والدنيا في لبِّ الصمت تتهادى، وهو الخبصة ... غير دقيقٍ في مشيته، يضرب المزهريات التي على الطريق ويكسرها ... وفي كل خطوة يضرب أيدي مَن يمرُّ بهم ... مزعِجٌ حدَّ الموت ... مبلَّل من فرطِ الماء الذي في مثانته، يرفس عندما يُعطي ورقة، ويُسمِع صوته عندما يسكت، يحبُّ الشاي والعلاوة، المحبرة أكبر منه ... قال أنت تشوِّش عليَّ الشِّعرَ؛ قلتُ له: وأنت. قال: أنا أُعيده إلى صوابه.

قلت: حسنًا؛ دعْني أذهب. أنت عاقلٌ، وأنا مجنون.

قال: لا ... يستدعي ما فعلتْه محاكمةٌ كبيرة، وراح يهذي؛ أعضُّه أم أشمره من السطح! هذه أمارات المُلك بين أيدينا له كلها. ولي الخلاص منه فقط ... خطف مني الفرَس، وركبها، وسجنني وراءَ الفرَس مكتَّفًا. ماعت الماسة، ماعتْ وهربَ النصُّ تحت القيود.

الفصل الثامن عشر

درَج صانعِ الأجنحة

صانعُ الأجنحة يتيه في الشوارع، لحظةُ النوم تُذكِّر بأبعدِ نقطةٍ في الخَلق، آدم وهو يسقط من الفردوس، إدريس وهو يصعد إلى الفردوس، الخضر وهو ينزل من الفردوس، المسيح وهو يصعد إلى الفردوس.

دورة كاملة من الصعود والهبوط ... متى يأتيه الدور؟

الموسيقى في يده وفي حنجرته ... قادرٌ دائمًا على أن يبثَّ النوتة في رواياته ... ومع ذلك، توجد بقايا من العِظام في أسفل أغانيه ... من أين له هذا؟ من الدناصير أم من السحليات.

في يده الهبوطُ للظلام ... في يده الخروجُ منه.

تيامت ولدتْ كلَّ هذا العالَم ... بيضة العالم تحت كتابي. ما هذا الرذاذ الذي يلامس أطرافي؟ بقايا الحوتِ الذي ينام في رئتَيه العالَم ... لغز النوم المقفَل.

مشَّط ونقَّط ... مشرقٌ كالورد، حمَّرتْه الشمس، ومدعوكٌ بالذهب المرِح الطائش، يضيء هذه المعضلة ... المهم دعْها عنك وراوغ المارَّة.

صانع الأجنحة يتحوَّل إلى صانع أحذية، ويستقرُّ في محلٍّ صغير في شارع الرشيد، عليه لافتةٌ صغيرة «أحذية الأجنحة».

بين يديَّ الشمعةُ البيضاء الذابلة من السهر ... صينية الآس والحنَّاء، الجرَّة الباردةُ الماءِ ... النُّورانية ... أمُّ الشَّعر الطويل ... أمُّ الدقَّات ... أمُّ رائحة الهيل ... أمُّ الجبين المعرَّى للسماء ... أمُّ رفَّة المُتون الهائجة المبخَّرة ... أمُّ رائحةِ العطَّاب ... صدرها الوافر يسخِّن القميص ... الصدر الوافر عسلٌ ينكت لوزًا وكلامًا وفضَّة. في يدي المخبأُ فوحٌ مالحٌ وحار كلَّ صباح، ثم يوضِّب وردًا طازجًا، ويخرج مقندَلًا ليؤدِّي التحيةَ إليها.

كان يطير فوق بغداد بأجنحته الصغيرة، وينظر في أيِّ الأسواق هي الآن ... في أيِّ الشوارع.

أخذها قربَ السراسخ وكانت باردةً وحمَّمها فانتعشتْ.

وهي نائمة سرط بيض الفُسَيفِس وانتخم، ولاحتْهُ قرصة برد. فوطة مُرقَّشة ومُهزبَرة، في يدَي القرى المدمَّرة.

في ذلك اليوم المطير، دخَلَ إلى مقهى حسن عجمي ... يجلس الأصدقاء في سحابة الدُّخان والشاي، ويتحاورون من أجل الأوهام ... من أجل مجدٍ لا وجودَ له ... يتقاتلون ... يتغاصبون، بعضهم ملَّ من النقاش لسنين؛ ففقَدَ عقله، وانزوى يعدُّ الذين يمرُّون أمام زجاج المقهى.

بعضهم مزَّقتْه الأوهام ... يده مجبَّرة عكَّازه بين يديه، فمه ... عينه ... شِعره في جيوبه. يشربون قصائدَ بعضِهم مثل الشاي ... آخِر مباخر الشعر، وآخِر حورياته مقتولةٌ في المقهى ... الرحم ثانية داخل الشاعر. أقصى غايات الابن أن يتوحَّد مع الأب.

الأب أسد يُمسك سيفًا ... يقيه الابن في شِعاب الغابة، رُوحه المجيَّشة الطينية، أسطرلابها وقسوتها.

أقدامه المُفلطَحة تطمس في الزبد ... طحالب وحصى ومحارات، تظهر في أعمال هذا النوتي ... سننجرف باتجاه دمه. دمه غزير وغرائزه في أعنف نشاطها، يهرول ومئزره لا يستُر ساقَيه ... يسقط ضلعه الثاني عشر، يركض هربا من الكتب، رأى ما لا يصدِّقه عقل ... الفحولة تضيع في القراءة.

كان يخطِّط ليكون طبيبًا كبيرًا، لكنَّ الشعر حرَفَ مسارَه ... لا بد من العودة إلى الطب، وإلى الفلسفة ... وإذا كان من إضافةٍ؛ فلا بد من الدراسة المقارنة للأديان ... أليس أقصى غايات الشعر أن يكون دينًا؟

سقطَت الجواميس في الفضيلية ... وتغطَّت القرية بجُثثها وببكاء الفلاحات، قطَعَ إجازته وعاد إلى بغداد، لَبسَ صديريته، ودخَلَ غرفة تحضير اللقاحات؛ لا بد من ثلاثة ملايين جرعةٍ أخرى من لقاح الطاعون البقري. في تجاويف الجمجمة نسير ... في مُدنها وشواطئها.

سقطتْ ثيران ديموزي في الماء ... فصار أحمر وأثبتَت الكروم الأغاني ... حمراوات الشَّعر، شبقيَّات، وأصولهن ترجع إلى زُحل.

تطلع من الكنعان ... تطلع من التِّين ... تطلع من النار، وتدخل أصابعي ... تدخل عروقي وأنا أزفُّها ... أزفُّ الحجلَ ويدها تلسع.

زنبقةٌ في محارةِ يدي، وعيناي مغمضتان من النشوة.

قِحفه يتلألأ مثل ماسة ... خمرٌ أم خِضاب؟

كتَبَ الأبجدية السومرية على عصاه، فكلما هزَّها ظهرَت.

أرواح الكتابة، وتمشَّت الآلهة في شوارع بغداد ... يأخذون بيده كأنه أعمى، ويُدخِلونه أحلى التفانين.

الفصل التاسع عشر

كراسات الموسيقى تتطاير في الشوارع

عسى نأكل هذه الليلة شيئًا نادرًا.

نعم ... معي ما يخصُّ الزراعة ... عشرة محاصيل، لكنَّ اليد مكسَّرة والزراعة بائرة، شلَّ اليد والفأس ... هدَّ اليدَ الفم ... سدَّ اليدَ والكأس. أخفى اليدَ والنار ... شدَّ اليدَ بالغد ... دام الماءُ والسد ... هذا المدُّ يأخذنا. مهر جهرم ... في يده حرفةُ الصائغ ... في يده التقاويم.

عذراء تحت سُلطة السُّكر، والهوى غامض عجيب، يلعب بها ليلَ نهار؛ شفتاكِ مشتعلتان وجسمكِ يتلوَّى، والغرام، الغرام القوي يفتك بكِ.

كراسات الموسيقى تتطاير في الشوارع ... مدوَّنات النوتة العمياء، أكثر البنات صاحبةُ أفخاذٍ مفتولة ونهودٍ زعلانة وعيونٍ بُركانية، أخذتْني بين أحجار الجحيم الحمراء، وأرتْني في الدربيل الطيورَ البعيدة، وأرتْني المياه العميقة ... أرتْني أعشابَ سرَّتها وشفراتِ غليانها، أرتْني الأبسو. بكاءٌ مُر مرمريٌّ، وقوارب الرُّوح الغاصَّة، أكياسُ الشعير ورطلُ الدمِ الحائر في قاموسي، وفي قبَّتي ... المفتاح الفوَّاح والشمس الحنطاوية.

يتردَّد بين الحبِّ الزيجي الأبيض والحبِّ المدنَّس الأسود ... أملحُ يلعب البيضةَ والحجر ... واوي يركض بين البيوت ... حاوٍ عنده حيَّات ... أزعر، دمه يلعب ... مأوى قلبه أبيض. لم يهدأ إلى الآن ... مرةً في الغيمة، ومرةً في المستنقع. كان التهليل الجيَّاش ... الهلال الفاحش يفتح أبوابي، ويرشُّ دموعي، يرشُّ قمري، ويهشُّ على مَن مرَّ وفرَّ، فجرٌ يتشيطن ويغزو الشوارع ... أسماك وصحون يفضحها الضوء.

ينخبز خُبز الصباح؛ فالذي يأكل أولَ رغيف تموت أمُّه، والذي يأكل لبَّ البصل يموت أبوه ... والذي يأكل من رأس الباقة يأتي زواجه في المطر ... أمَّا الذي يأكل كلَّ الطعام ويترك الناس يجوعون فيصير رمادًا.

يأتي عليه الذبان ... يأتي عليه الغربان ... تأتي وتمشي الجيوش، تقرع وتغشى الدفوف.

ينثرون فوق العروس سكَّرات تدفع الشرَّ ... ينثرون فوق الماء حَب رُقى. اللبن المخيض شكوتي ... لبنٌ مخيض يختصر رائحةَ العالَم، شكوتي تتفطَّر ويعلوها البخار ... شكوتي الحارَّة تكوي شفتي ... شكوتي المشكاة والخيط وترديد طعامي.

في كركوك وتحت أجنَّةِ البيوت ... تحت بيوتِ القصب ... في كركوك تحت عرَصَات الطين وضعتِني أمي، وكنتُ صغيرًا بحجم السمكة الصغيرة، ملفوفًا بقماشٍ أبيض ... أخذتْني القطعة وهربتْ بي إلى الشارع، وركض وراءها أبي فتركتْني وانهزمتْ ... كانت أمي ما زالت في غيبوبة الولادة.

كنت سأموت كما وُلدتُ، وكان يمكن أن تكون زيارتي لهذا العالَم أخفَّ بكثيرٍ ممَّا هي عليه الآن ... دائمًا أفكِّر، مَن يقول إنَّ القطط لن تأكلني ثانيةً ... دائمًا أقول إنَّ المسألة مسألةُ وقت ... ثم مَن يقول إنَّ القطط لم تباشر بأكلي ... دائمًا أشعُر بأعضاء مأكولة فيَّ.

تخرج ثانيةً ... تخرج ... أمُّ الماء ... أمُّ النار ... أمُّ لفَّة الحطبِ التي تركض في الحقول ونهودها تهتزُّ ... مرورها يحرِّك الريح؛ فتمطر الغيوم، مرورها فستق ... مرورها عنَّاب ... مرورها أحباب ... مزامير داود تحرسها ... مزامير تموز، مزامير الورد الباتع ... مزامير الغفران.

تدخل إلى كنيفها ... محتارةً ماذا تفعل.

تضرب على الطابعة، تلبس الصديري الأبيض، تأكل لفَّة، تفرقع الدهن كلَّ صباح، تغنِّي بمحاسنك، تضع أحمرَ شفاه، تسقي النباتات، تخيط شرشفًا، تبلع حيَّة، تفحص شرائح الأنسجة بالميكروسكوب، تقطع الكلاوي، تثير الورد بأرنبةِ ثديها ... ماذا تفعل؟ كلُّ هذا لا يكفي.

تزرِّر قميصها وتخرج إلى العالم ... تحمل من السوق ما يُسكر ... آثارُ حفرة طويلةٍ ملتوية على الأرض ... ثعبان منقرِض مرَّ فيها، رائحة البنات الشهوانيات المارَّات في الزبَد، المخترقات البُخارَ تسرِع ... صاحبها سيذهب، هل هذا هو الحلُّ؟ لا نعرف؛ هذا نوعٌ من الحلول السريعة.

مبربع ... أليس كذلك؟ طبعًا ... قلعةٌ وثنية يمكن أن تجعلنا نطير إذا استخدمنا سِحر الكشفو ... أردانه وسخةٌ وسُترته حمراء، حقله الواسع يغلي حبوبًا ... حقله يتدفَّق.

يفرِّق قوته في الخمر والكتابة ليتحاشى الجنس ... يُغدق على رغباته الكثير، يُغدق على ترَفه ومخمله وجنونه ... يتنغَّم ... يتلهَّى ... يتغندر، يده على عينه ترى عيني، يده على فمي تكلِّم يدي، الصلوات له ولي، في مائه الذي يجري القصب ... تظهر الأسماك، نام على ظَهْره فوق الماء وهو يقرأ المجلة.

يخشخشون والنهار وراءَ القضبانِ، صامتٌ وحزين، تحت مخدته التاج — ضامنها! — المياه والشرك والنجوم له ... ماذا يريد أكثر من هذا؟

مخبَّل والقرآن بصدره يقتحم أعتى الحِراسات ... يقتحم الفجر قبل أن يظهر ... ويرى أنْ لا نهايةَ أعظمُ من الجنون.

بيضة العالم تحت كتابه، وفي يده يهتزُّ الصليب، رسم قوس سقوط آدم وحواء وحدَّد إحداثيات مكانِ سقوطها ... تقريبًا على ضفَّة دجلةَ في منطقة الشواكة ... لا أحدَ يشاطره هذا الرأي ... ومع ذلك، توجد آثارُ أقدامِ آدم في الصالحية.

لماذا؟ ... لماذا يا سيد سريوط؟ ... لماذا وقفتَ حزينًا أمام التاريخ؟ كان الموج يضرب أقدامك وأنت تحمل الكَطاطين وتُعطيها إلى الناس، وكانت راياتُ سومر المفصَّصة ترفُّ وراءَك.

ولدتْه أمُّه في أيام القحط حيث لا ماء ولا طعام فسرطته. وأعادته إلى بطنها ... وحين ظهَرَ الماءُ والطعامُ أنجبتْه ثانيةً، فقام إلى الماء وكاثرَهُ، ونثَرَ الطعام على الأهوار؛ فامتلأتْ بالغلَّة.

أنت الطير الطائر فوق المدن المائية ... أنت الإيكاروسيُّ الإدريسيُّ، حفيد الراعي إيتانا والراعي آدابا، الشمس مسحاتُك والطواويس عرباتُك إلى الفردوس، طِرتَ إلى السماء وثبَّتَّ الشمسَ بالدبابيس، وفي الليل وضعتَ القمر بين قدمَيك وتنحَّيتَ عن المشهد.

آلاف الكتب تلفُّها الشموع والرياحين ... مخبَّأة في السراديب، سيقرؤها ليعرف ماذا حصل في القرن السابع الميلادي ... عصر الهرامسة الطافرين في المدن المُلاحَقين بالإبر والغبار.

يلتهم الأصدافَ والشموع والرياحين ... يلتهم عيونَه الليلُ ... تلتهم آذانه الشمسُ ... يلتهم الجهاتِ ... يتحوَّل ... يكسف حواسيَّته ... يلمس يبوسيته، يغفو ... يحلم ... يكاد يموت ... ينهض في دامو ... نسْخُ البناتِ والنباتِ هل يعيد دائرةَ المصير كلَّ مرة؟ يشتري كتابَ الماديل لسليمان الملك، وكتاب اليزرع، وكتاب الكنزا ويدخل في القبو.

الفصل العشرون

حيَّة العِظام

ثلاثون مرةً قلتَ لي: أين المزمار؟ ... ثلاثون مرةً قلتُ لك: أعطيتُه لحبيبي ... ثلاثون مرةً قلتَ لي: أين الأسرار؟ ثلاثون مرةً قلتُ لك: أعطيتُها لحبيبي ... ثلاثون مرةً قلتَ لي: أين الأنهار؟ ثلاثون مرةً قلتُ لك: أعطيتُها لحبيبي.

يا إلهي ... هل أعطيتُ كلَّ حياتي دون أن أدري.

حقيبتها مملوءة بالأعاجيب، حِبال سرَّاتنا تتَّصل بدرناتِ الماء ... حِبال سرَّاتنا تتَّصل بالنقطة، والنقطة هي الكاف ... وأنت تريد أن تعبُر الجحيمَ دون حِبال ... حسنًا غُص إذنْ في طبقات الخطيئة، ولن تَتِيه ... غُص ستدلُّك الحِبال إلينا، تمشي على نهر الجحيم ... تخوض في الزبَد لحدِّ رُكبتَيها ... لسانُها أحمرُ يلهث، وعيونها من شدَّة الشبَق تلمع.

جثَّة إنكي على نهر دجلةَ ... مَن قتله؟

الطائر أبي، له وجهٌ مثل البُوم، وتلزمني صرَّةُ فلوسٍ؛ لكي أحيا وأقلِّده، في يدي إسدال الشعر على الفلسفة، ولكنِّي لا أفعل ... أنتظر قيامةَ الموسيقى، مسحوقُ أيامي الخائر القوي أصبح مثل الجثَّة.

ملطَّخٌ بالحبر كما تراني ... رجلٌ نِصفه بخار، ونِصفه كلام رائحته نبيذ ... وردةٌ حمراء تطفو على نعاسة، ووليمته تفوح بالأسرار.

النهر رخوٌ وحلوٌ.

بلبشارع ... بلبسوق ... بلبساحة ... خروف للبيَّاع ... أمشي وتمشي معي مروة، تُشير إلى كلِّ شيء، ولا أستطيع أن أمدَّ يدي إلى شيء ... ظهر كلبٌ من فرع الشارع وتقدَّم يُشمشِم هنا وهناك، ضاعت كنوزٌ قديمة في الماضي وسقطتْ في الحاضر ... يبحث عنها هذا الكلب الخارج من ظلمات العصور، طبطَبَ أبي على كتفي، وقال لي: حتى لو ذهبتَ إلى الجحيم عُد.

لم تحلم «شغب» الجارية أن يسمعها رجلٌ بعد ألفِ سنةٍ من موتها، ذهَبَ إلى مقابر العباسيين خلفَ كلية العلوم، ووجَدَ قبرها وأخرج عِظامها ... يا إلهي!

في مشرح الكلية، كان يتأمَّل عِظام الكتف والعضد والساعد والكفِّ، وكان يريد معرفةَ العِظام الصغيرة جدًّا ... اقتنى جمجمةَ كلبٍ، وحفظ عن ظَهْر قلبٍ الأجزاءَ الصغيرة لأكثرَ من مائتَي عَظْمة.

سبماكزلري فوسا، ستنتكلم تالي، رنكولا سبلنكَوالز ... لم تصدق ليليث عندما سمعتْه يتلفَّظ بها ... أسمتْ قطَّتها: كرنكول. الغرين الحارُّ ... الأرواح تسقط مثل الوفر ... أرواح القواقع والنباتات أرواح القمر والحمام والحوت ... أرواح الضعفاء.

يأخذ عيِّنة من الثلج إلى المختبر، اكتحلتْ عيني بالدمع، وضاق صدري، البرتقالة في مخِّي ذبلتْ ... أذني كبرتْ، وفمي اتَّسع، ومناخيري مثل ثقوبِ الرصاص ... أُضغط وأُوضع في مبنًى صغير، ويُضغط المبنى ويُوضع في جهاز البثِّ ... أظهر مرةً كلَّ سنة واحدة ... أضحك ونضحك ... لا توجد مشاكل. ماذا دهى بابل؟ كانت مليئةً بالمشاكل الجميلة ... وكان تليفزيونها بشاشةٍ أكبر، وليس بالضرورة أن يظهر فيها كلُّ مَن يضحك ... أمام بابل أدمع وأحكُّ ذاكرتي بالمُوسى ... أمام بابل أمدُّ يدي فلا تلتقط سوى العِظام، أمام بابل يقع الورد الذي في يدي ... تذبل أوراق التينة ... تذبل زهرات النار ... تذبل أشواق الماء.

إلهةٌ ليبية رمَت التمثال في البحر؛ فابيضَّ ماؤه لوهلةٍ ثم عاد أزرق، مزامير تموز عند الرعاة الراقصين ... طبلة البكو عند سيد القبيلة، رمتْ كرومها الحقول في البحر فاحمرَّ ... دم ديموزي.

عين أفريقيا تلتقط أسماء الوثن ... وعين آسيا تبكي؛ لأنها فقدتْه، روائح مختلطة في الممرِّ ... الأثداء ... الآباط، الملابس ... رائحة المصافحة غامضة ... مفاتيح الأندلس ما زالت في جيبه ... يتحسَّسها ويسكر، ابتسامته تعلو وهو يردد: الشنشلة أحلى ... والنار أحلى من الشنشلة عندما تلعلع ... ما هذا الهراء؟

ماذا يفعل برئاته الضخمة هذه؟ يطير بها أم يجمع كلَّ روائح الشواء والأرض المرشوشة بالماء، والأشعار الفطيرة والخمور والرارنج؟

– لماذا وسَّع رئاته هكذا؟

– لكي يجمع بها رائحة الفردوس.

غسل الجثة بالليمون، وحوافر الخيل تكاثرتْ ... مَواكِبه وصلتْ إلى التُّخوم ... كيسٌ أبيضُ مملوءٌ بالنفايات ... جثته التي مزقتْها الشهوات. المرأة أنبتتْني في رحِمها ... المرأة أخرجتْني من رحِمها ... المرأة زرعتْني في شجرة ... المرأة نفختْ في الطلع ... المرأة قطعتْ فاكهتي ... المرأة أخرجَت البذرة منها ... المرأة زرعتْني في ضلعها. عربات نقل الموتى تتهدج، وعشتار تطشُّ البذور على السواحل؛ فينبت الناس مثل الحشيش.

هو قُرب جسر الجمهورية يحاول الانتحار.

الإفراط في الخمرة ... القلق الفمِّي يولِّد نهمًا في الرؤية والألوان، القلق الأنفي يولِّد نهمًا في شمِّ الروائح والنساء.

القلق الأذني يولِّد زيادةً في حاسة التلصُّص وشبقًا في موسيقى الشوارع، ازداد قلقُ حواسه ... فذهب إلى جسر الجمهورية لكي ينتحر، رمى بنفسه.

وعندما أوشك على الغرق اتَّحدَت الطيور وانتشلتْه.

الفصل الحادي والعشرون

إيروس يقفز بين الناس

إيروس ... يا إيروس! فانوس يا مطموس في اللحم، وفي العِظام. في الورد، وفي التمام!

تتعطر بماء الينابيع، ثم تخرج للناس لتضربهم بعيونها ... بأضلاعها، بدفوفها ... بطلعها ... برمَّانها ... بغيِّها ... والناس يتحاشون الضرب، ويخفون رءوسهم تحت أذرُعهم ... ثم يختفي فيض التنفس، وتبدأ البثور بالظهور على الأغشية ... تتقلَّص حركات الفم والأرجُل. بقعٌ حمراء تحت الحنجرة ... بقعٌ حمراء تحت الأظافر ... يجفُّ الشعر ويسقط. انتفاخات في الغدد، وصلواتٌ في الأعماق. رنينُ التاريخ في العِظام، وجذور الأسنان تذبل ... أشبه بالنسيان، ثم الانتفاخ، فالوفاة ... البرق يسرِّع نضوجَ البقول.

جزماتُ الجنود الثقيلة تملأ الممرَّات، وتدكُّ الأفق بالأشباح والغبار. رائحة الشمس أمْ رائحة الرجال المتحمِّسين الذاهبين إلى المسلخ. ليليث أنجبتْ أولاد الليل ... ليليث أخذتْهم إلى الملاهي والبارات، وتركتهم حتى الفجر، ثم عادت ومعها عربةٌ وحصان، ووضعتْهم فيها مثل الجثث، وساقت؛ وحين وصلت جسر الجمهورية، طارتْ ... تريد أن تصنع منهم كواكب ونجوم، كانت تلتفت بين حينٍ وآخَر لهذه اللغة من الرجال الإيروسيين وتفرح.

اللاهوت والموسيقى أعلى ما في هذه الأقبية ... والمدينة ما زالت مشغولةً بالأحجية التي رمتْها الأقبية ... من كل عقلِ الناس؛ إنها ستحُل. هلالٌ يطلُّ على الشارع ... قوسُ كفَلها يشبه الهلال.

المرأة تسند ظهرها على شجرة التفاح؛ فتملأ أثداؤها عيونَ الناظرين، تخلب الألباب، المرأة تزداد نشوةً وتدفع بشَعرها إلى حدود الكفَل ... المارَّة يسقطون فتنةً.

المرأة ترتفع أعضاؤها بالنور وتقطر ... الناظرون لا تعود لهم عيون ... المرأة تزداد نشوةً وتتمدَّد ... الناظرون يمحقون، إيروس يقفز في الشوارع.

«يا حوت البحر، يا حوت ... يا شبَّاك أيامي ... يا مرشوش بالحنَّة، يا متراس صدري ... يا شمس كاسي ... يا حوت البحر، يا حوت، يا سبَّاح روحي، وفأسي فاسك ... يا عنَّاب ... يا قلَّاب أحوالي ... يا مفتاح، يا تفاح، يا لسع البرد ... يا لمعة عيوني ... يا تمَّن ماعوني ... يا مِحراب، يا شهاب، يا خلَّاب، يا روح الندى، يا رفَّة متوني.»

ما هذا ... كل يوم تودِّعيني، وتستقبليني بهذا الكلام ... سأقبِّل صبيان الشمس، وأُلاعبهم بالعصا ... أنتِ ماكرة أمْ أنثوية إلى هذا الحدِّ؟ ... مسيرةٌ ظافرة إلى الخلق تبدأ.

رتلُ الأشكال الممدَّدة في الشوارع ... أين زاهر الجيزاني؟ أين سلام كاظم؟ ما هذا الذي فعلناه ... ابتكرنا آلاف الأشكال وضجرنا من تكرارها.

دافِعُ كتابته للشعر خوفُه من بعض الحشرات ... هذا دافِعٌ ريَّان، يحتفظ به في أبعد أدراجه. الْتماعات حواء في الحية تظهر وتختفي ... ما مصدر كلِّ هذا الشقاء والعقاب؟ فراشة الفخذَين تطلع ... فراشة الفخذَين لَمَّاعة. ثقوب الناي التي في يدك تتحرَّك، فمتى نسمع؟ مشى هناك بعيدًا ... لا أحد ... عربة مفكَّكة، وحواء ملطَّخة بالطين بعدما نزلتْ، وفي يدها جفجير تطبخ التمَّن وتبكي ... روائح غريبة، وهي وحدها تمسح الدموع بأردانها وتنشج. يمرُّ خلسةً قُربها: كيف حالكِ يا حوَّاء؟

تبكي ... ضاع منها الفردوس، وبالعمل ستقضي عمْرَها ... قُربها الحيَّة.

– أُمداكِ، أنتِ السبب!

قامت تجلب البقرةَ، والكلاب حولها تنبح ... شدَّت الحبل المدلَّى، وصرخ الحرس، فهبَّ صِغار كثار ... أنوش وقابيل ومرهوش وحشوش وشيث وغبران ومصران ... تعطيهم الطعام حارًّا: «خُذوا ... سمٌّ وزقُّوم ... متى أرتاح؟»

نزلتْ روائح كثيرة، وسمعنا لغطا كثيرا وعراكا.

وهناك على التلة تضحك ليليث ... صاحبة آدم، لها الصافي، راعية مساقط الأجنة ... ليليث، الوردة السوداء في صدر الشاعر ... مضادَّة الإنجاب من حواء ... المحرِّضة على الإجهاض ... لم تنجِب وهي فوق الآن، ستُنجب شياطين يملئُون الأرض ... وستجرُّ آدم الخائب كلَّ ليلة من بيته ... تجعله يركض وراءها ثم تنام معه، ليليث عندها ألف رحِم

... كلَّ مرة، ألف ولد مشيطَن ... مشخلعة، ومبربعة، ومغسولة بالحنة والذهب ... تاهت على آدم القصة.

رثَّةٌ، ونعالها تطقُّ ... في يدها السطلُ والمكنسة ... تعبُر الشارعَ والثوب يلزق على أفخاذها الحلوات ... هذه هي القادمة من الفردوس.

الفصل الثاني والعشرون

درَج المغني

روى أبي مرةً قال: حين لم تحبل أمُّك بك، ذهبتُ إلى جبل، وفرَّعت رأسي، ودعوتُ يا ربِّ فرِّج قنواتي ... فرِّج ثمري ... يا ربِّ. فصادف أن رأيتُ نسرًا في فم حيَّة، فضربتُ الحيَّة؛ فقال النسر: تعالَ أدلُّك على نبتٍ يُعيد لك قوةَ النسل، ووضعني على ظهره، وصعد حتى صارت الجداول صغيرةً، والجبال ندبًا، والبيوت بحجم رأس الإبرة، وصعد حتى اختفَت الأرض، وصعد حتى وصلنا إلى السماء، وهناك وجدتُ عثقًا ثخينًا، ووجدتُ بقُربه ثمرةً كادت تيبس، فأخذتُها ورجعتُ على ظهر النسر، وراح قلبي وكدتُ أموت من الهبوط وأنا آكل العثق والثمرة، حتى وصلتُ إلى بيتي وبعد سنة جئتَ إلى الدنيا، واليوم ما زلتُ أرى فيك حُب التطلُّع إلى الأعالي؛ فأنت من هناك ولدتَ ... من السماء.

إذا كانت هذه هي قصة ولادتي؛ فلا بد لي أن أغنِّي ... ولا بد لي من أغنيةٍ عالية كي لا أصحو.

جسدٌ رضراضٌ كبريتيٌّ، ويشعُّ
شمسية في الصيف ... شمسية في المطر

تراب الأصابع يتناثر في الكتابة ... مرةً واحدة نعثر في حياتنا على الكنز؛ الصدفة ... فإذا لم نلتقطه ... خلص ... لا يعود.

أشعر بأني غير موجود ... أحيانًا أنظر في المِرآة فأتفاجأ ... هل أنا هو هذا الذي أراه؟ ... أصنع حركاتٍ سخيفةً، ثم أقول: هل من المعقول، هذا وجهي؟ ... هل من المعقول أنني متزوج؟ ... هل من المعقول أني أكتب كلَّ هذا؟ ... هل من المعقول أن هؤلاء أبنائي ... ما معنى أبنائي؟

لمَ لم أصعد على ظَهر النسر لأنجب هؤلاء الأبناء ... أشياءُ عجيبةٌ. غربالٌ، يصفِّيني ويضعني في يومي.

أقدامي تدخل في خنوعها، فتسلك الدرب المستقيم، وجلدي يدخل في ضيقه، فينكمش ... الفانوس الشاسع ... الممتلكات الناصعة ... عيون عروسية ... الروح البرتقالية الواضحة ... لا بد أن أدوِّن خريفي ... هذا رزِّي المرُّ، وهذه جمهراتي الثرية الفاحشة التي يفسِّخها فيروس واحد ويلعنها. منديلي وأعاجيبي مثل ساحرٍ حديثٍ أخرق. أرفع المنديل تخرج حمامة ... تخرج حمامة ... أين الطقوس؟

الظهيرة هي الوقت الصحيح لممارسة علم فلكٍ سريٍّ؛ قنزعات مزركَشة مطبطبة.

ثم ينهض في ربيع الثلج والأيام الباردة المريبة ... الخميس الحزين، اليد المعروقة. في أريدو ينهض النور، وفي شروباك نهض الماء، يا إله النور والماء ... يا وجهها، تصير الكواكب شمَّات غروبٍ ونهارٍ ونورٍ ... تصير الكواكب ضبَّةَ خواتم ... تصير الكواكب حصى تموز أبو المزامير ... يغلي ويقرقع ... يمشي ويقلع النار من الحطب، والفجر من حنجرة الديك.

تموز المسخَّم بالخمور ... لا يعرف مكان بيته ... تموز يغنِّي آخِر الليل ... وضع ربطة عنق وردية، ووضع الدانتيل الأخضر، وذهب في طريق الأبقار يُعينه صولجان من الغصون. البودرة التي ترشُّ نهارَنا القبيح . الليل الذي تشطفه عيوننا المرهَقة.

أراد أن يحصل على الليل كلِّه ... تعقَّب الليل، وتمكَّن منه قبل الفجر، لكن سهامًا آتيةً من السماء شلَّت يده ... ما هذا؟ فصُّ الليل؟ ما هذا؟ شص الليل؟ ما هذا؟ رأس الليل؟ حسنًا؛ خُذ هذا الحبل، وجرَّه من الحلقة الموضوعة في أنفه ... جرَّه واسبطر، جرَّه واستطر، جرَّه وانشطر.

لا فائدة ... لا الليل استطاعه، ولا الأغاني نفعت!

الديك مذبوح، والفجر معطَّل، والعاشق التائه بخمرته يطرق على الأبواب من شدَّة ولَهِه ... يمشي ويكلِّم نفسه. الورد السريُّ ورشقاتُه.

عندما أفاقَ ولم يجِد الربيع، استحمَّ بالرماد ... أوتاره على صدره مقطَّعة ونازفة.

الفصل الثالث والعشرون

أنا شمعداني

أنا شمعداني.

الكلمات والنمنم عمادُ كتبي ... بينما موجٌ أخضرُ وسمواتٌ مهلِكة يرعاها شُعرائي.

يلضم الكلمات بالنمنم؛ حتى ينفتح له بابُ الصبر، وينتفخ وتتكاثر مغانيطه وأوسمته ... نادانا جميعًا ... بالول ... بالول مطهِّر الأجسام من الجِن.

مخبَّل، وقرآن بصدره، ويفتر في المقاهي ... في يده التعاويذ ... تلمع أسنانه المعدنية، وتلمع ذاكرته ... يصادف قارعي الطبول الضِّخام، كاد يكشف السرَّ عندما قال: «صاحبكم هذا تعويذته حبَّة حنطه في الجنطة.» أمَّا عينه فعينُ قمر ... عينُ كبريت ... عينُ مريخ ... عين رمَّان ... عينُ ذهب ... عينُ فحم.

في الفحم يُمضي سنواته، ويقايضها بالاحترام ... الاحترام ما يعوزه ... حمَّال المشاعل ... حمَّال السعوط هذا.

تذكَّر مشمَّعه وكلبه.

قبعات الصيد والطيور ... بحلَقَ ... بحلَقَ.

ينفخ في الآلات الضمَّاء ويُدهدي الرمَّانة.

لم تنفجر إلى الآن ... ضحكةٌ طويلة إلى نهاية عمره، وعبارات حماسية ذهبية ... أصابع نجِسة وصفراء تمتدُّ إلى النجوم.

الرمانة تنبض.

وضع المشمَّع على كتفه وغادر ... كانت الصالة تتحوَّل إلى شظايا، لم يصرخ أحدٌ من الناس؛ كلُّهم ماتوا. ضربُ الدفوف القوي ... قصفُ الموج الداكن، مفاتيحُ الحزن الزئيريِّ الملموم ... العناقيد الموسيقية المدلَّاة على الأرصفة، وفي رقاب الباعة، وتحت أيدي

الهتَّافين ... العناقيد الممرودة. كان هذا استهلالًا لعملٍ أعلى ... من أين له؟ رطلان من الموسيقى يطلي بهما الوقت.

موسيقى مقيَّدٍ بالأعالي ... موسيقى كاهنٍ ورسوليٍّ.

السُكر بمهارةٍ وخيبة أعظمُ الأعمال. جيتام فاتنٌ لعوب ... أثرُ الحدَّاد واضحٌ على هندامه. لم يستطِع عملَ أي شيء؛ فحذف إيل من اسمه، ورأى قلبه كيف يدق عضو في جمعيةٍ عاطفية ... نعم؛ نحرص على حُب النساء وتمتيعهنَّ، ونحرِّض على إشاعة التوتر الحسِّي في الكتابة. أقنوم الجمعية (الخمر، الجنس، الشِّعر) نخلط الخمر بالجنس، والجنس بالشِّعر، والشِّعر بالخمر. سبعة أشهر واندلقتُ إلى هذه الدنيا، لم أشبع من الفردوس الرحم؛ ولهذا أول ما كتبتُ عن دلمون ... الفردوس الذي طُردتُ منه مبكرًا. شهران فقط في بطن أمي وأكتمل، فلا أحب الرقم ٧؛ أحب الرقم ٩. أحب أورانيوس وبلوتو ... شهران فلا أكون شاعرًا ... شهران، لماذا حرمتَني يا إلهي منهما وجعلتَني أسدُّ النقص بالخمر والكتابة، والتجمُّل، والشبق، والظهور، وادِّعاء الكمال، وادعاء السِّريَّة وفهم كُنه العالَم؟ جواريب مطرطشة وفيها خيطٌ رفيع ... يصعد بعيونه ويشوِّعها ... أمامها حصان يجرُّ قتلاها، ويجرُّ شَعرها، وذراعها تتوغَّل في أحشائه؛ يحتفظ بكفوفها تلعب في أحشائه ... هذه امرأة مغرية حقًّا ... المرأة المغرية الثانية شاعرةٌ مسترجِلة تلبس قاطًا رصاصيًّا، وبيدها عصا، وتحت إبطها ديوان شعرٍ أسود، وقفازاتها مطليَّة بالأخضر، ورغم أنها ترفع شَعرها إلى الأعلى وتقصُّه كالرجال إلا أنَّ الهلب الأصفر الصغير في منطقة الزلوف هو الذي يثيره.

أموت عليهنَّ ... المحترمات ... صاحبات البكل والجنون الخاص يستدرجْنَه بغموضٍ وخفَّة، السريَّات ... الملفوفات بالورد، الغاويات ... المنحدرات من أصلٍ قمريٍّ.

جرح أسودُ مفغور في داخلي سبَّب غنائي ... جرح فيه سماء، وإناثٌ مقتولاتٌ، وألم، وجوع، وعطش، وأسرار ... جرح أسود سببُ غنائي؛ هل أستحقُّ هذا العقاب أم أمتطيه؟ ... النهار المفلطَح الأشمُّ المجعَّد. الفرح يدنِّس اللذة ... اللذة تتوارى في الألم ... ترَّهاتي وترَّهات الأرض تتَّحد وتقف قُبالتي لأصرعها ... وأنا ملولٌ ... ملولٌ، ريحُ العقل والحصافة تهبُّ من الغرب.

هزَّ مستر كارنتون لُغدَه وكتفَه، ودفع كتابًا جديدًا يسخر فيه من الأمم غير الأوربية.

إسفنجة ... يقول إن هذه الأمم إسفنجة.

كيف نردُّ عليه ... لا بد أن نقول له: أنت فلنجهْ.

الفصل الرابع والعشرون

حيَّة الدُّخان

الحُب شمسيٌّ أم قمريٌّ؟

أين بقاياه ... في جرَّة ... في يدَين ... أم في العيون تبكي. صمٌّ مطرٍ وصمٌّ بقولٍ وعيونه تحلف بالمسرَّة، لا كهرباءَ ولا لالة ... كان جسده يشعُّ، وأحلامه تنشط وهو يجمع الرصاص من المعسكرات لتصهره أمُّه فتعرف حسَّادها.

كتاب عن الممثلات ... كرَّاسات الجنود في الحرب ... وصايا الملَّا، وأساطير الصد مارد ... لُقى سومر وهو يشتري التتن ... شعارات الشوارع، وحوادث المرح، وسيارات السيم ... الزلازل الخفيفة ... والجناسي المزوَّرة، ثم رسائل منتهى الخوف إلى امرأةٍ متزوجة، ماذا يفعل بكلِّ هذا الحُب سوى أن يصرح. ينقِّب في كبده عن السِّر ... أبوه مشغوف ومصفوف، وقنينة خمرة قرب كاروك؛ ابنه الحديث الولادة. في تقاطُع صلبانها، مات معتقدون كثيرون ... في جلجلات بغداد، مات كثيرون ... في مسخه الوحشي، وشعفته الخلاسية. يدهم هذا المهندز ليلُ بغداد، ويُطمس في الكحول ... مبلَّلٌ وعتيقٌ وشبِقٌ. الْتقطَ في كفَّيه المطرَ الذي نضح من رُوح بغداد وهي تنوح ... كانت تبكي.

ضربوكِ ... ماذا سأفعل بيدي؟

هذا دمٌ ... أم دموعٌ ... أم مطر!

سوف تتحرك نحوكِ، وتخجل من هذا الفعل المُشين ... مَن القادمون نسلكِ، أم جيرانكِ، أم الذين اقترضوا منكِ لوائح الـ «مي» كلُّهم؟ ... يا إلهي!

كم ستُضربين؟ اثنين وأربعين يومًا، أم قرنًا قادمًا آخَر ... لا فرقَ؛ عِظامه من شدَّة القصف صارتْ دُخانًا وتحوَّلت. في جسده عِظامُ أجداده قامتْ أيضًا وبكتْ.

انهضْ ... انهضْ يا ولد من شنعار ... انهضْ.

ينهضُ، ويحمل أسنانه ومِسحاته، ويلبس جرابه، ويبني بيتَ القصب، ثم يلتمع الشعر في عينَيه، ويخترع الخمر ويلتذُّ ويسخر، ثم ينطلق، ثم يدوخ في آخِر الليل ويهذي ... دلالاتُ الخُضرة في بغداد ... وعندما كانت القنابل تسحق كلَّ شيء، كان يخرج كلَّ يوم فتيان مضرَّجةٌ خدودُهم بالخمر مساءً من اتحاد الأدباء، حيث الدخان والليل، وكانوا يتعاتبون على القصيدة السيئة فنيًّا. سلالات الخضرة أيضًا.

الدخان يصرع الجمال ... والجمال يسخر ... هذه عادات الجمال دائمًا. تطفر على الدرَج وفي يدها شمعةٌ، وتفتِّش عن الشظية التي سقطتْ على السطح ... يا إلهي، متى ينتهي كلُّ هذا؟

تخشى أن تصاب سلالتُها بالعُقم.

الورد الأحمر في الحديقة يطلع ... الشظايا تملأ الحديقة ... لا ماءَ لكي تسقي الورد ... تنتظر الليل، فتتعرى قدَّام الورد فيُسقى. وفي اليوم الثاني، كان الورد على الجدران أيضًا.

تُسمكُ شمعةً، وتجوب أطرافَ الجحيم ... تبحث عنه ... أين ذهبتَ حبيبي أبو الخدود الحلوة ... أين ذهَبَ الزين، الشمس التفاحة في رجلٍ؟ ... أين ذهَبَ الغالي؟ أين ذهَبَ الذي سدَّدت الطائرات سِهامها عليه وقرونها؟ ... أين ذهَبَ؟ الطائرات خنازيرُ سماوية. أين ذهب؟

ماذا سنفعل لكي نُعيده إلى الوجود؟

سقطتْ ثيرانه إلى العالَم الأسفل، ولم تستطِع كلُّ هذه النذور والصلوات أن توقظه ... ماذا سنفعل إذن؟ ... هل غاب حقًّا؟ ماذا سنفعل أكثرَ من كلِّ هذا البكاء والصبر!

الفصل الخامس والعشرون

الأخطاء التي تحوَّلتْ إلى دم

عادت بي الأفعى إلى البرك الصغيرة ... فأمسكتُ عصاي وعاودتُ السَّير ... نظَّفتُ ملابسي وجنطتي ويدي من المياه الآسنة، وقمتُ بمعونة أربع فراشاتٍ ليلية.

حين وقفتُ، رأيتُ ما لا يصدِّقه عقل!

ألوان الليل تنبش ما دفنت من النساء في جسدي: امرأة الذهب الأحمر، امرأة الشعاع الخوخي الفاقع، امرأة البياض الغيتاري، امرأة الطرَّة الحمراء البستانية، امرأة السجَّادة الصفراء، امرأة السيف الأسود، امرأة الوردي المخلوط، امرأة الفوَّهات البركانية، امرأة الشبق الدفلي، امرأة التطريز الخمريِّ، المرأة الحيَّة الحمراء الرمَّانية، امرأة الشمس السائلة، امرأة الركعة الصفراء، امرأة النهر المرعوص، امرأة الخوص، امرأة الرائحةِ الحنطة، امرأة النار.

مضى تجرُّه الشوارع، وتسحبُ عنقَه النجوم ... مضى وفي جيبه صُورها، ومعه المنديل الذي تطرَّز بأسمائها الاثني عشر وألقابها السبعة، مضى وحده وشقَّ الطريق الطويل بذكرياتها ... سيكون طريقه وعرًا، لكنَّ القمر معه سيحبُّه ويرعاه ويمسِّد له شَعره كلَّ ليلة ... ستهديه المنائر والقباب التي سيصادفها، وسيعرف من الأذان أوقات اليوم، مضى ولا أظن أنه سيتيه؛ فقد أوصتْه أن يتذكَّرها كلَّما لاقى مصيبةً. ولكنْ، هل يعود؟ هل يعود؟

اليوم انكسرتْ صورته المعلَّقة في الغرفة؛ فانفجرت أكثرُ من نقطة دمٍ في بيتها ... كان حبيبها يسرِّح شَعرها ويختار لها أحذيتها، وكان يضع لها حُمرة شفاهها بعد أن يُشبعها قُبلًا، وكان هو الذي يُلبسها الخواتم والقلائد، وكان لا يشبع منها أبدًا. لكنَّها ذاتَ مرة قالت له: أنت متعلِّق بي أكثر ممَّا يجب ... أرجوك، هذا حُب عنيف لا أستطيع عليه ... هل يمكنك أن تحبَّني نصفَ هذا الحُب؟ بدأ يفكِّر في كلامها، وشيئًا فشيئًا بدأ

يبتعد عنها، ولم يعُد يسرِّح شَعرها، ولم يعُد يضع لها حُمرة شفاهها ... ثم لم يعُد ... ولم يعُد ... ولم يعُد أبدًا.

عُمرنا يركض ... ولا يمشي، ولا تأتي المعجزات ... لماذا إذن كلُّ هذه الدرنات في أفواهنا؟ ... ولماذا عِقد الخُرْنوب، هذا الذي نتلمَّسُه تحتَ جلودنا؟ وخزةُ ألمٍ في اليد ... ودمعُ الشموع يغطِّي هذه السهرات النرجسية العِرقية التائهة.

اضربني على الطبل من أجلها ... اضربني أيها الغناء العميق ... في السرِّ لَبسَ أساورَه، وتحلَّى بكحلةٍ وخواتمَ مشينة. السرور يملأ أطلَسَه، وأطلسه يملأ الحنين.

كمْ من الخمور سأعبُّ لأستعيد أيامي مع النساء؟ كمْ من الحوارات سأحاول كذبًا؟ كمْ من الدموع؟

المرأة العيطة ... الحلوة ... أمُّ الأرداف الزينة ... الدفلى ... أمُّ الطول العنباويِّ ... أمُّ ثنيةِ الشبوط ... أمُّ دفِّ الورد ... المرأة الناقة ... المرأة الباقة ... المرأة البِلَّور.

احكِ ... احكِ؛ في يدك تنحسر ضبابات القرون المطعونة الخاوية ... احكِ ... ليزول الملطخ الغزير.

احكي ... جلدي مهروشٌ من بقِّ الحروب ... من مطر الحروب.

احكي لي عن الحُب، وتغسلين معي رهطًا يتدافع في الأسواق ويبحث عن كيلو طحين.

تتغلَّب علي عيوني وتدور.

تتغلَّب علي متوني وأنا أحمل الحطبَ كلَّ يوم.

متوني تغلظ ... وتغلظ معها أقدامي.

الحوصلة الحمراء لهذه الأيام تلمع في انتظارِ الإنذار ... لماذا لا نثقبها بدبوس ونجعلها تفشُّ؟ جلدها سميك ولا يستطيع كركٌ أن يثقبه.

ستنفجر علينا وتُدمينا الحوصلة هذه، خزينُ أخطائنا الإملائية، والنحوية والبلاغية والفقهية والعلمية والروحية والفنية والشِّعرية، ولا بد أن تنفجر.

– لكنها ستنفجر دمًا.

– الأخطاء عندما تُترك؛ تتحوَّل إلى دم يسيح في الشوارع.

الفصل السادس والعشرون

درَج الخمر والغناء

مرةً هيَّج امرأةً في التليفون ... عرَّاها وخطَّط المندل على جسدها وحمَّر الطماطمات وطيَّب الثنيات ... ألقى كلماته في كلِّ حرث وفي كلِّ وردة.

لا هو ولا هي إلى اليوم ينسيان تلك اللذَّة الخارقة.

ملابس مهلهَلة يعبُر بها ليلَ بغداد، ملابسُ مهلهَلة تُخفي تحتها الأسماكَ والكنوزَ والمصائرَ والمنافساتِ، ملابسُ مهلهَلة سترتْ شهواته الجنونية.

أصابعها المحمَّرة، المشمَّسة، الغافية في الطلع، الخارجة من البخار وعليها الزهرة السقيمة لتحييها ... في يدها تبجيلُ الخمرة.

يا بطَّتي يا بطوطة ... أين تسبيحكِ؟ في نهر العسلِ ... أمْ في نهر الورد! في الماء الخابط ... أم تحت المطر! ما أحلى حجلكِ وساقكِ ملطَّخٌ بالطين! ... ما أحلى ثوبكِ ملتصقًا يفضح خريطةَ جسمكِ!

الفمُ خطَّاف القُبل ... الفمُ بِلَّورُ الرُّوح ... دمغةُ حياتي ترتوي هناك، في سرَّة الشمس.

أساطيرُ خاليةٌ من الفردوس ... الماءُ فيها قليلٌ أيضًا ... تسيطر عليها الغيوم «أسلوحي»، وتنتشر بين أخاديدها القواقع.

اهتفني في عمائها فسوف يخرج لك بالعطر الذي اسمه «تعال- تعال».

اهتفني في مسائها؛ فسوف يخرج لك بالأسوار التي اسمها «انتظر»، المرأة تقتفي خطواته في الشارع وتسجِّل حشائشه وصنوبراته.

الخمر يطرد خطواته، ويبعثرها بين أوهامه وأبقاره.

ماذا يحمل هذا المهندز؟

شَعره مثل العُرف، طائرٌ في الهواء؛ وخدوده مصابيحُ ... سَنْطور يدِه يعزف للنعسان ألحانًا تفلفل ... تجعل الحصانَ يتمطرح على ظهره.

اشربي ... اشربي.

تشربُ، ثم تتطاوس برهافة، طولها وصدرها المرتِفع كأنه أغانٍ. تطاووسوسوس برها فافافافة.

أمَّا هو فجثَّته تتفطَّر.

القمرُ ينتعل الشمس في الليل، والشمس تنتعل القمر في النهار. هذه دورةٌ صاعدةٌ ونازلةٌ ... دورة الحيَّة والدرَج.

الآن هو نازلٌ وهي صاعدة؛ هل يكفيكَ هذا المرهم ... هل تكفيكَ هذه الأعشاب؟ الآن اسمها السماء المسموعة ... سماء بنت آوى ... لا أحد يجيب على هذه الظلمات.

الخمر من علاماتِ الخفاء ... أتحدَّث عن تربُّص الأفعى بي كأبي آدم المقتول في البريَّة ... أو تربُّص السمندل الذي سيبلع الأرض.

أنت ... اسمعْ، أنت الذي تتورَّد في منابع المياه، وتتورَّد في الأفلام. عندما تظهر بدور الحرامي والشرطي. يشرِّفك. أليست السيناريوهات التي عشتَها أكثر من السيناريوهات التي مثَّلتها؟

أعرفك ... عرقٌ ... عرقٌ ... لماذا يقطِّر جبينُك؟

أعرفك ... أيها الكذَّاب الوردة. أعرفك، ستطقُّ مثانتُك ذاتَ يوم. صلصلة البار توجِع ... صلصلة الخمر والثلج، شرائح الليمون ... شرائح الغناء ... شرائح مرصَّعة بالنُّور.

كلُّ واحدٍ تدثَّر بعينه وينتظر.

يحكي كأنَّ حوله خلقٌ كثير ... محفوفٌ بالنار، مرذوذٌ بالعطر، منممٌ ودائخٌ وجسمه مدندشٌ، مسَودَن يلعب بالوغف.

تتحدَّر المرأة ذاتُ الشَّعر الأحمر — علامة الشبق — من الجبال وتضعه في الزنبيل، ثم تصل وتضعه بين إخوته المحاربين.

هناك ... سلَّمونا كلَّ واحد بندقيةً، وقالوا الذي يضرب أخاه هو الرابح ... فإذا بنا بعد رُبع ساعة نسبح في بحيرةٍ من دم. أمَّا أنا فضربتُ فخذي.

لماذا؟ أماكن الصيد كانت واضحةً، ولكنهم رموا بالفلوس تحت أقدامنا وحدَّدوا جائزةً كبيرة ... فاشتغل الرَّقع. قلتُ: ما دام الأمر كذلك؛ فلماذا لا أسلخ حنجرتي وأستبدلها ببوق؟ فسلختُها ... وسلختُ البوقَ من الصِّياح ... جوائزُ كثيرة!

ندبٌ وقروح على جدار العصر ... البكِتريات تتكاثر ... وزجاجةٌ تعفن، ظهر صاحبُ الوصلة البيضاء ... وحكَّ ... بالزجاجة ألفَ سنة؛ فاسودَّت الوصلة ولم تتغيَّر الزجاجة.

قلتُ: كيف تتنظَّف الزجاجة؟

قال: قِفوا كلُّكم بالدور، وكل واحد يُحضر وصلته وصلته، ربما تتنظَّف على يدِ أحدكم! ربما!

الفصل السابع والعشرون

آخِر الليل في مدار السرطان

مزاميرُ العبيدِ تُوجع
مزاميرُ المحبة تلفح
مزاميرُ الشقوق
مزاميرُ الحيَّات ... يا حيَّات، يا ساكنات الكون!
يمشي وحلاوته طحين، يطيح من طوله ...
يمشي وحلاوته الطبول تُقرع.

الْتصق معناه بالرغوة ... انتفضتْ طاسينه بالحروف ... انخبط مُخُّه ببياض الكون ... انعجن جمره بالمسرَّة، وانخبص معناه في النقطة ... في القطَّة، الشمس التي طاحت على الماء. سرُّه مربوطٌ بالماء ... سرَّته مربوطة في الأعالي ... الشِّعر لطمٌ وخبالٌ في الأعالي ... في مدار السرطان، عندما كان في الجنة؛ مسكه من ذراعه وقال له: إياك أن تترك شيئًا لا تعرفه ... وانظرْ ... انظرْ معي إلى شجرة المعرفة هذه نفحصها، فيها تفاحات، فيها ثمرات، فيها الكون كلُّه مشفَّرًا ... انظرْ إليها ... واقطعها ... قشِّرها ... سلِّسها وكلها ... قوِّيها تقويك.

يا هذا الولد، اسمعْ ... كلْ من كلِّ أشجار الجنَّة، ولكنْ هذه الشجرة بالذات كلْ منها.

فشُدهتُ، ونظرتُ إلى هذا الفردوس، وأكلتُ من كلِّ الأشجار إلا من هذه الشجرة؛ فقال: لماذا؟

قلتُ: لأنك شدَّدت عليها فخِفتُ.

فقال لي: أنت مخبَّل.

وأنزلني أيضًا إلى الأرض، ورمى بقِدوري ومواعيني خلفي، ورمى بكاروك شيت وخرق جُمانه، وعندما وصلنا الأرض قلت له: لا يجوز هذا ... آكل من الشجرة تطردني، أترك الشجرة تطردني ... ماذا أفعل؟ قال ... امشِ ... امشِ ... ادخل لهذا البار الذي فيه جماعتك الحشَّاشة وتعلَّمْ منهم.

فدخلتُ ... كان الدخان يغطِّي المكان، وكان العقل صرَّة أعاجيب. الأدبس واقف في الوسط وفي يده قبَّان ويزِن به أفعالَه، وضع اللغزَ أمام المرآة فطقطقَت المواعين لوحدها ... ترك اللغز ومسك الأرقام وحيَّرها. أول معجزةٍ ليسوع تحويله الماء إلى خمر، لماذا لا تقرَءُون؟

ترتيبات السلَّم الموسيقيِّ.

أيضًا لا تعرفونها ... حسنًا.

ما معنى دُو؟

– لا ... لا، ليست بداية السلَّم الموسيقي معناها اقرأ أو ابنِ أو أُعلُ بالسومرية ... القراءة تعني البنيان وتعني العلو، القرآن يبدأ بـ «اقرأْ».

دو ... ري.

والآن قلْ لي أيها الرائع ... ماذا تعرف عن أفلوطين؟

– اسم الدلع لـ «أفلاطون».

– وردة.

وأنت، ما هو آخِر كتاب تقرؤه الآن؟

– «النمل والنحل» عن الفِرق الدينية.

– وردة.

وأنت، ما هي عيوب «سارتر» الفكرية؟

– أنه ليس من أهل الناصرية.

– وردة.

وأنت ما هو الدواء الفعال ضد دناصير الثقافة؟

– السنافر.

– وردة.

مروحة ... مروحة ضخمة جدًّا سأضعها أمام كتبنا ومكتباتنا، وأشغِّلها بأقصى طاقة؛ لتطير الأوراق في الشوارع ... لتطير العقول في مداراتٍ أقلَّ من مدار الاستواء.

لا داعي للكتب ما دُمنا نقرؤها بالمقلوب.
لا داعي للزمن ما دام يعود إلى الوراء.
لا داعي للذاكرة ما دامت تستعمر الحاضر.

– اسمع ... اسمع، أنت مطرود من الجنة، وتعاني من نقوصٍ خطيرة ... أقلُّ ما فيها أنَّك ما زلتَ تحمل سرَّةَ ابنتك، ولا تعرف أين تدفنها.

– لا أجد مكانًا مناسبًا ... أخاف على البنت تطلع على طراز المكان الذي سأدفن سرَّتها فيه.

– أدفنها هنا؟

– اسمع يا شاعر ... يا كيس الصفن ... يا أميَّ المزاج ... يا رماديُّ. حوصلتك حمراء ... يا شاعر، فيها خرز وحصو، وفيها فلوس، وفيها دحس حرام ... وفيها خمور ببلاش، وفيها كاسات ذهب مزيَّف ... وطاسات زلاطة.

أنت يا شاعر يا صغير ... مات السيَّاب وبحسرته دينار واحد، أين أضعكَ وأنت تدهن شعركَ كلَّ يوم بالتراب وتسفِّطه باللعاب.

سأضعك في برج البقرة ... سأضعك في ركن البقَّة ... سأضعك في حلق الحيَّة، سأضعك تحت الصابون. سأضعك في مستشفى الولادة؛ لتولد من جديد.

سأضعك مع الحمَّال أبو حدبة، سأضعك مع المساجين، سأضعك مع المدفعيِّين، سأضعك مع أصحاب القصعة، سأضعك مع صانعي البقلاوة، سأضعك مع الدلالين.

يا شاعر ... يا كيس الصفن!

كم يدخل في فمك كلَّ يوم؟ عَشْر وجبات، وبطلان عرق، وثلج وماء، ولهط ورهط، ومرق وشوربة.

لا تدخل أذنَك الموسيقى.
لا تدخل أنفَك العطور.
لا تدخل عينَك الرسوم.

حلقك فقط مفتوحٌ للطعام والكلام ... لا وظيفةَ له، يدخله الطعام كثيرًا، فلماذا لا تقول الحقيقة ... لماذا عندما تجترُّ الطعام لا يغزِّر فتقول الحقيقة؟ ... لماذا ترندج؟ لماذا تلفلف؟

كل مِرآة تنظر فيها تتكسر فلا ترى وجهك، أتريد أن ترى وجهك خذْ ... خذْ مِرآة الناس، وانظرْ ... كم أنت بشِعٌ وذليل.

الفصل الثامن والعشرون

حيَّة ٩٩

يا إلهي دو ... دو، وينتهي كلُّ شيء ... يا إلهي اثنان وأصِلُ إلى المئة ... أيها القدَر ... أيها القدَر الذي يرمي بالزار ... اثنان فقط ... ارمِ ... ارمِ.

– يك.

– معقولة!

ألملم أغراضي وأحمل الجنطةَ وأقفزُ من فم الأفعى الضخمة الساعةَ الثالثة بعد الليل ... خارجٌ من غبار المكان ... خارجٌ من غبار الزمان، تبلعني الحيَّة وأنا مُتخمٌ بالعويل ... مُتخمٌ بالجنون، ثِملٌ لا أعرف رِجلي من رأسي.

الشوارع أمعاء المدينة ... مثل الحيَّات مسنَّحة ونائمة ... تقوم ببطءٍ آخرَ الليل، وترفع أجسامها فوق المدينة ... تتلوَّى، وتنفث، وتلعب.

تحت أعمدة متراصَّة ... يشتعل غليونه ... التاريخ يتطاير ويبوخ وهو يراقبه بحُزن.

رمادُ عقله يسقط بين يديه.

في يده الحنان، ولكنه لا يستطيع. يصعد مع عمود النور المسلَّط عليه ... يرى الأسواقَ ويحبسها ... حفلٌ مدرسيٌّ مربِك.

كنت مختبئًا في بيتٍ صغير اسمه بيتُ أطفالي ... فلماذا خرجتُ؟

كمْ من القسوة سأرى؟

كانت الكتابة تهيِّجني، ومنظر البومة يستفزُّ أشجاري.

أمَّا الآن فلا أعُد بشيء.

لم تعُد الكتابة تغري.

عن ماذا يتحدَّث التاريخ؟ عن أُحجية! عن فلاةٍ مزدحمة بالخرفان! عن ربيعٍ منتهك!

الطبيعة تمنحنا الجمالَ فنحرقه ... الطبيعة تمنحنا الصمتَ فنخرقه ... الطبيعة تمنحنا الوفاءَ فنلعنه.

مَن ... مَن سببُ الحرب؟ نايٌ بليدٌ وأعمى يعزف للماعز منذ اكتشاف الزراعة. سببُ الحروب طفولةٌ مقطَّعة وأغانٍ سوقيةٍ لا بدَّ لنا من الجنون كلِّه حتى نشفى.

زهرة الأكاسيا تؤرخ لسيدة كابل وهي تمنع بمهفَّتها الفيروساتِ عن العالم.
رطبةٌ ... لدنةٌ ... تجلبُ المتعةَ والخطيئة.
أدَّى صلوات الشُّكر بعد أن تجوَّل في العصور.
فخذٌ مخردَل ومتبَّل والنار نازلة منه كنبيذ ... أصواتٌ تشبه الرماد في ذاكرته.

«اسمع ستأتي
خالبة الألباب ... هيِّئها لي
أطعمْها ... شرِّبها
أمام تمثال الأسد، لاطِفْها
وستأتي اللبوة ... ستأتي
لباب الخمر ... أنا أنتظر.»

الْتهبت عروقه، وصعد في عيونه الشمعدان ... السمك النابض لطَّفَ فمه بالدخان وتمطَّق وشمشم، المتعوس الوردان الشيطان هذا.

في يده ملقُ النساء ... سينجح.
«اسمع يا صاحبي ... اسمع
ستأتي فؤاد الكمان ... ستأتي
وردة الشمبانيا ... ستأتي
باللطف، ستأتي بالوهج
ستأتي بالفجر وتوسِّدني،
حضِّر لها الخمرَ ... والرحيق
الشفاه اللزجة مثل الزهرة
الصدر الذابح مثل زجاجة.»

الإغواء الحقيقي لزندها.
ألاطفُ أسَدَ أقدامها وأفوت.

في الرِّجل امرأةٌ منقرِضة، يُسمع صداها يتردد ولا نعثر عليها ... نبحث عنها في امرأةٍ فلا نجِدها ... نبحث عنها في الخمرة فلا نجدها ... نبحث عنها في الدُّخان ... نبحث عنها في الضلع فلا نجدها ... أين ذهبتْ؟

سبب غنائِهِ جثَّة سومر في داخله التي تأبى التفسُّخَ ... يمطرح الأرض ويقلِّبها ... يُخرج الحصى والبيضَ والحشرات من شَعرها، ثم يفرك جسدها ويورِّده ... أصبحت صالحةً للإخصاب. صحيحٌ أن قصيدته شعبية، ولكنها مزروعةٌ بالأسرار.

الشمع مدفونٌ ويداه تصيح.
ارتعبت الخيول أمام الماءِ، وصهلتْ بعنفٍ فظهرتَ.
فجرُ ظهوركَ ذهبٌ وإلى الأزل كلماتك عافيةٌ.
في يدك الأذن الصاغية.

وجهٌ مخمليٌّ وزنبقيٌّ وحارٌّ ... في يده عنبرة ... في يده مرمرة ... والشمس تقلع جذورَ الجزر ... رُد ... رُد ... عن مرامكَ وتعالَ بالحلال.

– يا حلال، يا حرام! الدنيا انقلبتْ؛ الفوق تحت، والحرب لم تمسَّ شيئًا إلا ومسخته. تعالي أدلُّكِ على شيءٍ واحد صحيح؛ هل تنظرين هذا الطريق؟

– أين؟

– هذا الطريق الطويل ... هذا.

إلى اليمين دُر ... عادةً سِر ... لا تلتفتي، هذا ليس عالمكِ. رغبة بالموت تعتريه ... ماذا يفعل، أخَذَ من كيس البذور وهو في السيارة وطشَّ صمَّ البذور على الموتى ... على الجرحى ... على المستشفيات ... طشَّ البذورَ على المقابر ... طشَّ البذورَ على المياه ... طشَّ البذورَ على الأسواق ... طشَّ البذورَ على الكراجات ... طشَّ البذورَ على البيوت.

يرعاكم الله ... ولينبت الجمال فيكم من جديد.

الحيَّة الطويلة المشعشَعة المشندخة أم الشوارب ... حيَّةُ الشوارع التي تتلوَّى من ساحة الأندلس حتى أطراف البيَّاع وهو يخترقها بسيارة أجرة الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ... حذاؤه يلمع وهو ذاهب إلى العالم الأسفل ... سيبهدلونه هناك ... يُهيلون التراب على رأسه، وأقصى ما سيكون عليه أن يصبح زبَّالًا هناك، لكنه مع ذلك سيراقب مجرَّة الماء هذه المحصورة بين النهرَين.

جحيم المياه، يا لجلاله!

أشعل زيوسدرا النار وقدَّم القرابين؛ فشمَّت الآلهة الرائحةَ والْتمَّتْ عليه كالذُّباب.

أمسك شمعةً وجابض أطراف البحارِ الكوني ... أراد أن يعرف أطراف جسده، تتدافع في جسمه الأسماك وتطير، الورد أعمى.

إلهةٌ شبِقة رمتْ تماثيلها في الماء، وجعلتنا نتهيَّج؛ فابيضَّ ماءُ الطوفان، ثم ازورَّ، ثم ظهرَت البثور على جلودنا.

أين الصيدليات لكي نتداوى.

أين المعابد لكي ننطرح.

أين الطعام لكي نأكل ونقوى ... حسنًا، أين الكاميرا لنأخذ الصور؟

جرق – صورة لإبليس وهو يقذف ماء الطوفان من فمه.

جرق – صورة للمعدان يحملون القُفف ويهربون.

جرق – صورة لَمَا تبقى من أطفال لا يعرفون كيف يضحكون.

جرق – صورة لأمٍّ حسن النواب تهلِّهل لغيمةٍ بيضاء وسطَ الدخان، وتصيح: هذا صاحب الزمان.

جرق – صورة للأفاعي تخرج من مغاورها وتدخل البيوت التي هجرها الناس.

جرق – صورة للأولياء يتحرك رُفاتهم ضجرًا من القنابل.

جرق – صورة لعشتار ترشُّ على أبنائها الملايين السمَّ بالفليت.

جرق – صورة للطبيب والفيزيائي والشاعر وهم يحملون ماءَ الشرب على المطايا.

جرق – صورة لخرافاتنا تأكلنا واحدًا واحدًا.

جرق – صورة للأم تدفع الباب وتمنع دخول ابنتها للبيت؛ لأن الطعام قليل .

جرق – صورة لأرواحنا يقرضها أبو الجنيب، ويدوسها إيرا.

جرق – صورة للزمان ... صورة للمكان ... صورة للفرسان ... صورة بالألوان.

كان يا ما كان

عندما وصل إلى البيت وفتح الباب؛ فزَّت ابنته الصغيرة مروة وهبَّت باتجاهه.

في الليل ... في أعماق الليل حضن ابنته، وحكى لها حكاية كلِّ ليلة: «كان يا ما كان ... في قديم الزمان ... وسالف العصر والأوان ... بنية حلوة اسمها إيمان ... تروح للدكَّان ... تروح للبستان، وتأكل خوخ ورمَّان، وكان أبوها فقيرًا. كلما يصعد بالدرَج يُنزلونه بالحيَّة ... لكنَّه كان لا يملُّ، ويريد أن يصل إلى النهاية. في يومٍ من الأيام وصَلَ إلى الرقم ٩٨، وكان قد أصبح عجوزًا كبيرًا لا يستطيع الوقوف على أقدامه، ويده ترتجف من كثرة ما صَعدَ دروجًا وبلعتْه حيَّات ... وكان يفكِّر ماذا أعمل الآن بالرقم ١٠٠؟ ماذا أعمل بالسعادة إذا ظهرت الآن؟ كانت مفيدةً أيامَ الشباب. وقبل أن يُدير ظهرَه ويرجع، رمى العدد بالنرد فطلع «واحد»؛ فتلقَّفتْه حيَّةٌ طويلة عِربيدة، ونزلتْ به هذه المرة إلى القبر ومات أبوها.

غدًا ... غدًا عندما تكبرين ويكبر مروان وثريَّا، إياكم أن تفكروا بالوصول إلى الرقم ١٠٠؛ فهذا ليس رقمكم والوصول إليه مستحيل. وإن حَصَل ذلك؛ فعلى حساب الناس الآخرين ... هذا الرقم ليس الفردوس، بل هو الجحيم ... الجحيم بعينه يا أبنائي.

لا تفكروا بالكمال ... فكِّروا بالأشياء الحلوة ... الأشياء التي تمنحكم المتعةَ وإلا ستحترقون بسرعةٍ وتشيخون بسرعة، ودائمًا عيشوا عيشةً سعيدة، وغدًا يا مروة نحكي قصةً جديدة.»

إشاراتٌ وهوامش

بعد انتهاء حربِ الخليج الثانية ١٩٩١م، بدأتُ بجمع المادة اللازمة لكتابة عملٍ أو نص ملحمي للمشهد الذي خلَّفته الحرب، وللخراب الذي أصاب العراق. وشرعت في ذلك العام بكتابة بعض مقاطعه. وفي منتصف ١٩٩٣م، انتهيتُ من الكتابة النهائية لهذا النص المفتوح الذي أسميته «حيَّة ودرَج»، وهو اسمْ للعبةٍ شعبية كان يمارسها الصبيان في العراق على ورقةٍ مقسَّمة إلى مائة مربَّع تتخللها ثعابينُ وسلالم، ويتنافس فيها لاعبان للوصول إلى رقم ١٠٠ بعد اجتياز الأفاعي والاستعانة بالسلالم. وقد أوحتْ لي هذه اللعبة أنَّ البلد تحوَّل إلى أفاعٍ تُنزل الناس إلى الهاوية، وإلى سلالمَ تصعد بهم في لحظةِ حظٍّ إلى الأعلى. كانت هذه اللعبة تمثِّل شكلًا ما لَمَا يحصل في بلدٍ تدجَّج بكلِّ هذا التاريخ المأساوي. وكنتُ قد غلَّبت العفويةَ على الصنعة والشعبيةَ على الأصولية في اللغة، وجعلت من الأسطورة شحنةً باطنية للعمل، وترادف العمل بين قيعان ذاتية ومسارح جماعية للحدث الرهيب.

في ٤/٨/١٩٩٣م قرأتُ العملَ لأول مرة لصديقي الشاعر منصور عبد الناصر، وبعدها بشهرٍ قرأتُه لأصدقائي الشعراء (حكمت الحاج، هادي القزويني، عبد الواحد طه، خالد البابلي، حسين السلطاني، ركن الدين يونس) في أوقاتٍ متفرِّقة.

وفي ٧/٢/١٩٩٤م قرأتُ العملَ لصديقي الشاعر رعد عبد القادر، والمترجِم سمير علي، وكانت زوجةُ الشاعر رعد عبد القادر القاصَّة «إلهام عبد الكريم» حاضرةً في سهرةٍ عائلية في بيتي.

وفي ٩ و١١/٢/١٩٩٤م قرأتُ العمل للشعراء حسن النواب، ومحمد تركي النصار، وكريم الزيدي.

وفي ١١/٤/١٩٩٤م قرأتُ العمل كاملًا، وعلى مدى ثلاث ساعات متواصلة، في أمسيةٍ في مدينة العمارة على أثر استضافةٍ لي من أدباء ميسان في قاعة اتحاد النساء في ميسان، وقدَّمني في الأمسية الشاعر نصير الشيخ.

وفي ٢٣/٤/١٩٩٤م قرأتُ العمل في «نادي الشِّعر» في اتحاد الأدباء والكتَّاب في بغداد أمام جمهور محتشِد بالأدباء والشعراء.

بسببٍ من طبيعة العمل وغرابته؛ أصبح العمل مشهورًا، وكان الأصدقاء يطلبون منِّي نشرَه، لكنَّ كلَّ الصحف والمجلات العراقية رفضتْ نشرَ ورقةٍ واحدة منه آنذاك؛ لأنه كان يسبِّب لهم الذُّعر. ورفضتْه مجلاتٌ مثل الأقلام بحُججٍ واهية.

وفي بداية عام ١٩٩٥م، قرأتُ جزءًا من العمل في رابطةِ الكتَّاب الأردنيين في عمان، وقدَّمني في الأمسية القاصُّ والروائي المرحوم مؤنس الرزاز، ثم أعطيتُ العمل كاملًا للشاعر عدنان الصائغ (وكان يعمل في مكتب سعد البزاز)؛ أملًا بنشره في منشوراتِ «سعد البزاز» التي كانت قد بدأتْ للتوِّ الظهور بمنشوراتها العراقية، وقد بقي العمل أكثرَ من ستة شهور عند عدنان الصائغ، ثم فاجأني بأنه كتَبَ نصًّا طويلًا وطلب مني أن أطَّلِع عليه. وقد هالني ما كتَبَ عدنان؛ فهو لم يكتب طوالَ حياته قصيدةَ نثرٍ واحدةً ولا نصًّا نثريًّا طويلًا، وكان مضمونُ نصِّه الجديد الذي كان اسمه «نشيد أوروك» هو الحرب وما خلَّفته. وبأسلوب قريبٍ من «حيَّة ودرَج» فطلب مني أن أكتب كلمةً عن العمل؛ فرفضتُ وتعجَّبتُ من جُرأته، إذ لم أستطع أن أتحدَّث معه عن الأمر، فكيف يطلب مني ذلك. فنشَرَ نصَّه في كتابٍ واحد بعد وقت، بينما سحبت الذي أدركتُ استحالةَ نشره بعد ما حصل، وأنِّي لشديدُ الخجل من ذِكر حادثةٍ سابقة مع صديقٍ شاعر في بغداد، ذكرتُ اسمه في التواريخ السابقة، والذي سارَعَ لكتابة نصٍّ شبيه بحيَّة ودرَج، لكني صارحتُه بالأمر فاعترف ووعَدَني بعدم نشره قبل أن أنشُرَ عملي؛ فطلبت منه ألَّا ينشره أبدًا؛ لأن ذلك يعدُّ بمثابة السرقة.

إنني شديد الحرص على أن أُثبت هذه التواريخ، وقد فاتَنِي الكثير غيرها (مثل قراءتي للعمل في ١٩٩٤م في بعقوبة، وفي الحلة، وفي الإسكندرية وغيرها)؛ لسبب بسيط جدًّا هو أنَّ هذا العمل منذ يومِ إعلانه في عام ١٩٩٣م، وحتى هذا اليوم يتعرض إلى سرقات وانتهاكات لا حصرَ لها. وحتى عندما نشرتُ بعضَ مقاطع منه في جريدة «الأديب» الأسبوعية، في عامَي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، لاحظتُ أن هناك بعض النصوص التي

نُشرت لشعراء قد وقعتْ في المشكلة ذاتها. وهنا لا بد من الإشارة إلى نصَّين محدَّدين لشاعرَين من بابل والموصل.

أعترف أني أخطأتُ في عدم نشري للعمل عام ١٩٩٣م أو بعده، وأعترف أن العمل ما زال بالنسبة لي واحدًا من أهمِّ أعمالي الشعرية إنْ لم يكُن أهمَّها. ولكني اليوم أضع هذا العمل بين يدي القارئ وأنا على ثقةٍ أنه سيشعر بنبضِ زمن كتابته؛ لأن في ذلك ضرورةً لا بد منها رغم أن البلاد ما زالت تعيش مخاضًا أشدَّ صعوبةً من تلك الأيام.

في «حيَّة ودرَج» لجأتُ إلى أسلوبٍ جديد في النَّص المفتوح؛ انطلاقًا من فكرة تعدُّد الأساليب الشعرية التي أصبحت فكرةً تلازِم تجربتي الشعرية وتصوُّري عن التجريب الشعري؛ فالتجريب الشعري يعني — فيما يعنيه — الانتقال من تجربةٍ لأخرى، وهو يعني عدم الثبات والاستقرار، وهذا ما يتطابق مع فكرة تعدُّد الأساليب الشعرية. لقد كان، وما زال، المفهوم الشائع عن التجريب الشعري، على أنه الاشتغال (بنوعٍ من التطرف) في تصعيدِ آليةٍ معيَّنة، ومحاولةُ جعلِ هذه الآلية مركزًا للعمل الشِّعري، وتجاوزًا لمَا يطرحه النَّص من مضامينَ وأفكارٍ وأهدافٍ ... إلخ.

إننا إذا نقلنا فهمنا للتجريب الشعري من مركزه في نصٍّ معين إلى مجمل نصوص الشاعر وتجاربه؛ فإننا سنوسِّع ولا شك دائرةَ التجريب الشعري، وسنجعله رديفًا للتعدد الشعري.

إذن، كان الدافع الفني لكتابة نصٍّ شعري جديد بعد «عكَّازة رامبو» موجودًا في فكرة التعدد الشعري، أمَّا الدافع الذاتي فهو الألم المريع لمَا حصل، أمَّا الدافع الموضوعي فلا شك أن ما تَبدَّل في حياتنا بعد الحرب كان كبيرًا وصارخًا وعنيفًا، حتى إنه يُلقي علينا سؤالًا يوميًّا: هل سنبقى نكتب بالطريقة ذاتها؟

اجتمعتْ هذه الدوافع الثلاثة في سياقٍ واحد، كان هاجسه كتابةَ نصٍّ شعري جديد ... وكانت الخطة تقتضي جمعَ المادة الخام أولًا من الحياة اليومية، ثم فتح سراديب ومخابئ الحياة الروحية التي تنبض في الأعماق دون خوفٍ أو وجَل ... ثم اختيار الطريقة الجديدة التي يجب العمل بها، وهذا أصعب الأمور.

وبعد مرحلتَي الحياة اليومية على مدى سنتين بعد الحرب، والحفر المتصل في الحياة الروحية؛ وجدتُ أن في هذين السبيلَين تكمُن طريقةُ كتابة العمل الجديد؛ فهما يتضمَّنان هبوطًا وارتفاعًا مريعين للحياة عن استرخائها الأفقي. خطرتْ في بالي لعبة

«الحيَّة والدرَج» الشعبية فوضعتُها ظهيرًا لكتابة النَّص ... وأصبحتْ طريقةُ اللعب شكلًا للنَّص ... وقلتُ: حقًّا، إنَّ حياتنا عبارةٌ عن «حيَّة ودرَج»؛ فالصعود والهبوط في مثل هذه الظروف هو القانون الذي يحرِّك حياتنا.

تتضمَّن لعبة الحيَّة والدرَج آفاقًا هائلة للتعبير عن حركة يوم أو سنة أو عُمرٍ بأكمله ... ثم إنَّ كتابة نَص شعري على أساس لعبة شعبية أمرٌ فيه الكثير من الجدَّة والطرافة والحيوية؛ فقررت أن أدخل اللعبة وألعبها مع نفسي وأكون في الوقت نفسه «اللاعبَ والغريم»، أو أدَع القدر يلعب معي وأكون اللاعب الذي تحركه حركة نرد تقتضي أن يكون رقم ١ هو نقطة الانطلاق ... ورقم ١٠٠ هو الغاية أو الهدف. عليَّ إذن أن أتحرَّك في رحلةٍ عمادها يومٌ واحد حقيقتها عمرٌ كامل ... فتظهر أمامي التفاصيل، ويلتحم الذاتي بالموضوعي لدرجة الانصهار ببعضهما ... وأثناء الرحلة أجِدُ الحيَّات التي تمثِّلها الكوارث، والأمراض، والحروب، والأقبية، والأخطاء، والشرور، والجحيم، والعالَم الأسفل، والمقابر؛ وأجِدُ الدرجات (الدُّروج) التي يمثِّلها الطيران، والحلم، والخيال، والاتصال بالماضي، والجنة، والسماء، والمعراج، والأفراح، والنشوة، والصعود، والشفاء، والإكسير، والجمال.

وهكذا تضمَّن النَّص ثلاثَ حركات:

(١) الحركة السُّفلية، وهي حركة الأفعى التي تبلغ إلى المغاوِر وهي سبعُ حركات؛ أيْ: سبع حيَّات، وهذا ما يتناغم مع الشياطين السبعة الذين تذكرهم الأساطير العراقية القديمة عند أبواب العالَم السُّفلي السبعة.

(٢) الحركة العُلوية، وهي حركة الدرَج الذي يصعد بالإنسان إلى أعلى وهي سبع حركات، وقد يتناغم مع الطبقات السبع للسموات والكواكب السبعة وغيرها.

(٣) الحركة الأفقية وهي الحركة التقليدية ... حركة المشي العادي أو المشاهدة اليومية للأحداث ... حركة الواقع وهو ينبض بما فيه وما في أعماقه خالطًا ظاهرَه بأعماقه، وتلتمع على سطحه الأساطير العراقية القديمة مشعَّةً حارقةً، حيث لا نعرف الحقيقة وأيهما الأسطورة وكلاهما وجهٌ للآخَر ... وعدد هذه الحركات في النَّص ١٤ حركة تتخلَّل حركاتِ الحيَّة وحركاتِ الدرَج.

وهكذا يتكوَّن النَّص من ٢٨ حركةً، وهي عدد الحروف الأبجدية العربية. تستهلها مقدمةٌ قصيرة بمثابة الهمزة، وتختمها فقرةٌ قصيرة بمثابة النقطة الأخيرة للنَّص.

يبدأ النص بخروج الشاعر من بيته، في رقم ١ على لعبة الحيَّة والدرَج ذاتَ صباح، وينمو العمل بالحركات الثلاث المتكرِّرة (الحية، الدرَج، المشي)؛ حتى تصل الحركة ما قبل الأخيرة إلى آخِر نقطةٍ في آخِر الليل وهو الرقم ٩٨، ويدرك الشاعر، وهو ثمِلٌ ويخوض الحوارات مع الذين حوله، أنَّ مجيء القدَر بنقطتَين (النرد) وهو يحمل «دو» سيخلِّصه نهائيًّا وسيصل إلى هدفه (الرقم ١٠٠). لكنَّ القدَر يرمي بالنرد فيظهر النردُ بنقطةٍ واحدة (يك)؛ فتبتلعه حيَّةٌ طويلة كبيرة تمتدُّ من الرقم ٩٩ إلى الرقم ١ حيث يعود إلى بيته. وتمثِّل الحية الطويلة هذه الشوارعَ آخِر الليل وهو في سيارة الأجرة، حيث تمتد الشوارع مثل حية طويلة ملتفَّة، ويبدو أن لا سبيل للخلاص أو الوصول إلى الرقم الأخير أبدًا. وفي البيت يحكي لابنته الصغيرة قصةَ الرجل الذي ظلَّ طول عمره يصعد الدرجات، وتبلعه الحيَّات دون فائدة، حتى بلعتْه حيةٌ كبيرة وعاد إلى القبر، وتختلط هنا صورةُ البيت بالقبر. هذا هو الشكل الذي كتبتُ النصَّ على أساسه. أمَّا اللغة التي كُتب بها النص فيمكنني أن أقول: إنَّه تضمن ثلاثةَ سياقاتٍ لغوية وهي:

(١) اللغة الشعبية، وهي اللغة السائدة والتي تتشكَّل بعفويةٍ وتلقائية، دون الاكتراث الدقيق بتجذيرها اللغوي الفصيح؛ فهي لغة الشارع والناس والحوارات العابرة، ولكنَّها بالتأكيد لا تنحدر إلى المستوى الشعبي الرثِّ.

(٢) اللغة الأسطورية، حيث تقفز لغةُ الأساطير السومرية والبابلية بين كُتل اللغة الأُولى، وتمتزج معها وتشكِّل الواحدة الأخرى كأنهما توءمان، وتُلمح في النَّص كِسَر الأساطير العراقية القديمة وهي متناثرةٌ ومعادة الصياغة أحيانًا.

(٣) اللغة الإيروسية: وهي لغةٌ حية تفتحها الحواس البشرية على هذا المشهد الشعبي الأسطوري، وتطري أحداثه ... هذه اللغة تُتشرَّب في أخاديد النَّص وتلتمع هنا وهناك.

تتضافر هذه اللغات الثلاث في الْتحامٍ وامتزاج؛ لتشكِّل لعبةً وحياةً وواقعًا وذاتًا وموضوعًا وغورًا في الماضي والحاضر.

إن التوتر الذي تُحدِثه اللغة مع الأحداث يمكن أن نلمسه في حقيقةِ أنَّ هذه الاحداث تأتي مرةً على لسان الشاعر، ومرةً على لسان امرأة، ومرةً على لسانِ الراوي، ومرةً على لسان الغائب، ومرةً على لسان الجماعة.

هذا العمل هو خلطةُ جوقاتٍ وأعمال وأساطير وأرواح وأمزجة ووقائع مريرة. لا أستطيع أن أقول إنه ينتمي لأحد أعمالي السابقة مطلقًا؛ فهو نفيٌ لها من حيث هو تصعيد للجوانب المهمَلة فيها.

النَّص، إذن، هو نصُّ لعبةٍ مفتوح، وهو يبدأ بالتمهيد لهذه اللعبة بظهور الشاعر الذي هو محور العمل واللعبة بصورةِ «مهندز» يحمل حقيبةً فيها شيءٌ غير معروف، فيلمحه أصدقاؤه الشعراء والفنانون وهو يخرج حاملًا هذه الحقيبة ويدور بينهم سِجال طويل حول ما يحمله في حقيبته كمؤشِّر على غموض أهداف هذا الشاعر وما كان يتركه بين أصدقائه من حيرةٍ وجدل، لكنَّ إجاباتهم تشي برغباتهم وخصوصياتهم هم. أمَّا آخِر صديق له وهو مجهولُ الاسم وغامضُ الشخصية؛ فهو الذي يرمي النرد لتبدأ لعبةُ الحيَّة والدرج.

في بداية اللعبة، هناك ما يشير إلى وجوده في بيته وهو يستيقظ صباحًا من نومٍ في القرون الوسطى، التي هي القرون التي تمثِّل مزاجه وذوقه الثقافي والروحي، فهو يعيش فيها متأملًا تضاريسَها الروحية والفنية والأدبية والشعرية، ولذلك تبدو مثل الليل الذي كان نائمًا فيه ثم يسرد نسله الذي يمتدُّ لآدم، متأملًا ظهور الخبز في المعابد والكتب في الجوامع والآلهة في الماء، فيما مضى عندما انفطرَت المِرآة وتبعثر مشهد المضاجعة ... فيما مضى عندما ظهرتْ أمراض النهار وأمراض النحيب، ولبس الناس ملابسَ سوداءَ، وقصُّوا شعور رءوسهم على شكل طرَّة سوداء حُزنًا على ديموزي. فيما مضى عندما حزنوا عليه ودقُّوا الدفوفَ والزناجيل على ظهورهم، فيما مضى عندما كانوا يلطمون جماعاتٍ جماعات على موت ديموزي وعطشه.

وتظهر الأم الخصيبة في شكل عشيقةٍ له فهي الخاتون وهو المضنى بجسدها، ويرمز هذا إلى العصر الفردوسي الذي كان يعيش فيه الإنسان أي العصر الأمومي الذي يماثِل ظهورَ الإنسان كجنينٍ في الرحم، حيث يولد بعدها وينسى هذا الفردوس بعد الولادة مباشرة.

في أول درَج له يصعد إلى السماء تحيط به الملائكة ومربعٌ من الحواريين يرفُّون حوله، ثم يدخل هيكل إبليس وينقله من الفضاء إلى أغوار النفس أو أغوار المدينة، ويصعد من جديد ليتأمل الناس يسرقون بعضَهم ويطلبُ من نانشة (إلهة السمك والمعرفة في سومر) أن تجفِّف له الطريق لكي تصبح الحياةُ أفضل، ويدخل في حوارٍ مع شاعر اللافتات ويحتقره، ثم يراقب صعود عشتار ليستقبل ربيعًا قادمًا. هكذا تظهر

لنا هذه الحركة الدرَجيَّة وكأنها انتقال بين السماء والأرض. إنها حركةُ كشفِ الأغوار الداخلية بدلالة الصعود، وتشوُّقٌ دائم للخصب، وأول معاينة لخراب بغداد بعد الحرب.

يسير الشاعر في الحركة الثالثة قُرب مخارجِ بغداد. يرى جثث المحاربين، ويلمح مجزرةً تحت أغشيةِ المدينة، فلا يرى فائدةً من الشِّعر، ويحاول أنْ يُنقذ ما يمكن إنقاذه من هذا التاريخ المنتحر المدمَّى.

يتزود الشاعر بطاقته الإيروسية من المرأة، وحواء التي تحمل في خاتمها البذور، ثم يرى في الشارع الناس، ويرى ننماخ (الأم الخصيبة) وهي تعاني من سقطِ متاع الحروب التي صنعها إنكي في لحظة سُكر، إلى موظفين فاشلين فتحاصرهم وتسجنهم تحت الأرض لكيلا يهدِّدوا الإنسان، ثم تتحول ننماخ إلى خبَّازة في زمن الحصار لتوفِّر الخبز للناس. لكنَّ الشاعر تبلعه حيَّة وتؤدي به إلى نفقِ ساحة التحرير في بغداد، الذي تحوَّل إلى مزبلةٍ ومكانٍ للخراب. وفي هذا الفصل يتماهى الشاعر مع ديموزي الذي يكون قد سقط في هذا العالَم الأسفل (ساحة التحرير)، لكنه بدلًا من أن يراه إلهًا للخضرة والوفرة والجمال، فإنه يراه بائعًا للخرز وصور الممثلات والأختام، ويربط شعره بمشاتٍ مصبوغة بالأصفر، وتحت أصابعه الوسخ. أمَّا قصته مع إنانا فتتحوَّل إلى حكايةٍ شعبية عن الحوريات، لقد تحوَّلت قوة الخصب إلى ضعفٍ مبدَّد، ثم يلمح حانة عباسيَّة يرى فيها المغنِّي «سياط» والعازف «زلزل» والناس تسكر بقوةٍ وتتداعى صورُ العالم الأسفل الموحية بالجنس الأسود، وتظهر خرز الدم على الكتب الخاصة وتسقط الكلمة ويُنفى الشعراء، لكنَّ ديموزي يكمل دورته المأساوية عندما يسقط بين يدي العسس والمخبرين وتظهر عمَّة الشاعر وهي تندب الموتى وتُحيي مراسيم العزاء الطقسية، حيث يتذكَّرها الشاعر عندما كان يجلس في غرفته الصغيرة وينظر بخوفٍ ورهبةٍ ورغبة إلى النساء، أيام كان صبيًّا في مدينة الثورة في بغداد؛ لتظل صورة لطْمِ النساء عالقةً في وجدانه، حيث تجِد غورَها البعيد في طقوس استنزال المطر المرسومة على طبقٍ فخاري في سامراء قبل ثمانية آلاف سنة مرسومٍ عليه أربعُ نساءٍ عاريات ينثرن شعورهن نحو الشرق لتتشكل صورة الصليب المعقوف (السواستيكا)، التي ترمز في العراق القديم إلى الخصب وصلاة الاستسقاء؛ الصورة ذاتها لطْمُ النساء في باحة بيت أهله ونثر شعورهن الآن وقبل آلاف السنوات.

في الشمس الإنفلونزية الفاقعة التي تخرج نهارًا أو ليلًا يظلُّ الشاعر معذبًا بين هزات الحروب ولوعاته الجسدية ... مخرِّماتُ أحلامنا الطويلة الأكفان، والفواتح مرابعنا

التي لا تشيخ ... ويرى في نهاية كلِّ هذا العذاب الليطَ في يده والعُملة المزيَّفة، ويرى البالوعاتِ المفتوحةَ والشوارع المحفَّرة؛ آثار اللهط على المجد. ويرى تماثيل الأقوياء تقطر دمًا ورصاصًا. أمَّا نحن فلا تماثيل لنا ... ولكنها تقطر مطرًا. وفي الفصل السادس يصادفه درَجٌ يصعد به إلى عربات «نبو»، حيث يشاهد مكتبةً في الطابق الثالث، ويرى كتبًا غامضة وسريَّة ربما يكون قد كتبها هو في مخطوطاتٍ ما زالت غير منشورة، أو تمنَّى أن يكتبها. وتمثِّل هذه الكتب مجموعةَ اهتماماته المعلَنة والسريَّة في الثقافة. ويصعد فيرى البابليين الجُدد يحتفلون بعيد رأس السنة (الأكيتو)، لكنه عيدٌ مفجَع؛ حيث استولى الأعراب عليه ودمَّروه. وتستمر فصولُ حيَّة ودرج، ويشهد وفاة مهندز بغداد «الحجاج بن أرطأة»، ويطابق بين بغداد اليوم وبغداد الأمس؛ حيث يقتل السياسيُّ المبدِعَ في الاثنين، فيرثي هذا الخرابَ المتواصِل ثم ينزل في حيَّةِ الغريزة إلى الجحيم، ويطوف فيه ليعرف تضارُبَه، ويرى ثعابين الطِّب التي الْتفَّت على العصا، ويرى أبناء ليلبث التي أنجبتْ أولادَ الليل، ويرى في الشوارع الأكباد المتفسِّخة التي تسمَّى نصوصًا (في إشارةٍ سخرية لَمَا يُكتب في عصره من شِعرٍ تافه يكتبه مدَّاحو السلطان الجديد، ويكتبه المتشاعرون الحديثون). وفي درَجِ نوح يتصل الشاعر بنوحٍ تليفونيًّا عبْرَ سلك طويل يمرُّ عبْرَ العصور وعبر ماء الطوفان، ويُعرف منه بأنَّ أصل الناس هنا غيرُ معروف، وأنهم لم يصعدوا مع نوحٍ في السفينة، ثم يستمرُّ النَّص في صعودٍ ومشي وهبوط، حتى نصل في الفصل الثامن والعشرين إلى مربع يحمل ٩٨، ويكون الشاعر قد انتهى في جولته اليومية هذه إلى المكان الذي اعتاد أن يلتقي فيه أصدقاءه، في آخر الليل، في نادي اتحاد الأدباء في بغداد قُربَ ساحة الأندلس، وتكون الساعة قد قاربت الثالثةَ بعد منتصف الليل وهو يخوض معهم في نقاشاتٍ طويلة في الشِّعر والجمال والثقافة والحرب فيسأل: مَن ... مَن سببُ الحرب؟ نايٌ بليدٌ وأعمى يعزف للماعز منذ اكتشاف الزراعة، سببُ الحروب طفولةٌ مقطَّعة وأغانٍ سوقية. لا بد لنا من الجنون كلِّه حتى نشفى. ويستنجد بالقدَر لكي يرمي نردَ اللعبة وأن تأتيه درجتان (دو)؛ لكي يصل إلى الرقم ١٠٠ ويفوز وينتهي كلُّ شيء ... لا يعرف طبيعةَ النهاية، ولكنَّ كلَّ شيء يجب أن ينتهي. لكنَّ القدَر يأتيه بـ ١ ليقفز إلى المربع ٩٩ الذي يحمل أطول حيَّة تهبط به إلى الرقم ١ من جديدٍ، وهناك يكون بيته، فيركب سيارة الأجرة وهو مطوَّح بالتعب والسُّكر والكلام، وتخترق السيارة شوارع بغداد من ساحة الأندلس إلى مجمع حي السلام قُرب البيَّاع، وتبدو له هذه الشوارع مثل جسد حيَّة ملتوية وهي تبلعه في

آخِر الليل ليختتِم بها رحلةَ يومه التي تتكرَّر كلَّ يوم بنفسِ الطريقة وبمشاهدَ مختلفة، وهكذا تظهر رمزيَّةُ الحية والدرَج كلعبةٍ خفيَّة تحت أقدامنا؛ حيث تلعب بنا أقدار النرد الذي لا نعرف مَن يرميه، وأين؟ ولماذا؟ ... إنها أقدار العراقي المدجَّجة بالعبث والموت المجانيِّ والقسر والإلحاق والحروب والدمار والخراب والصدفة والمهانة وأمواج التاريخ المتدافِعة في شوارع الحاضر. وقبل أن يصل الشاعر إلى بيته يرسم صورةَ بغداد الحزينة النائمة على جراحها وهي تئنُّ في آخِر الليل ... ولكنه يتذكر بأنه حمل صباحًا معه كاميرا؛ فيخرجها ويصوِّر صورًا لإبليس وهو يقذف ماء الطوفان من فمه، والمعدان وهم يهربون ويحملون القُفف، والأطفال الحزاني، والأمهات، والأفاعي، والأولياء، وعشتار المدمَّرة، وصورة لفرسان الحروب والموت بالألوان. ويصل الشاعر إلى بيته، فتلقاه ابنته الصغيرة التي أهدى العمل لها والتي وُلدت في فم الحرب، ويحكي لها حكايةَ كلِّ ليلة، لكنه ينصحها وينصح أبناءه ألَّا يفكروا بالكمال والمُثل وألَّا يسعون لنيل الحقيقة كاملةً ممثَّلة بالرقم ١٠٠؛ لأنهم سيخسرون أشياءَ كثيرةً، وأنَّ عليهم أن يتمتعوا بالحياة كما هي؛ لأنَّ الكمال هو الجحيم والوصول إليه مستحيل، والحياة، كلها، عبارةٌ عن حيَّة ودرَج.

مروة: ابنة الشاعر التي أُهدي لها هذا العمل، ولدتْ في ١٢/٣/١٩٩١م، وكان مخاض ولادتها صعبًا وعسيرًا، بسبب الحرب التي اندلعتْ منذ ١٧/١/١٩٩١م؛ فقد انعدمَت المواصلات والاتصالات والكهرباء والمياه، واندلعتْ بعد توقُّف إطلاق النار ثوراتٌ واضطرابات في المحافظات العراقية، وقد بدأ الشروع بكتابة «حيَّة ودرَج» بعد ولادتها مباشرةً، حيث يظهر والدها/الشاعر وهو يحمل الحبلَ السُّري لها ويحاول دفنه في مكانٍ ما جريًا على العادة الشعبية في العراق بدفن الحبل السُّري للوليد في مكانٍ يتمنَّى الأهل أن يرتبط به كالمدرسة أو مكان العمل ... إلخ.

المهندز: المهندس، وقد وردتْ في الكتب العربية التراثية بصيغة مهندز.

جنطة: حقيبة في اللهجة الشعبية العراقية.

أسماء أصدقاء الشاعر الواردة في «قبل اللعب» هم من الشعراء والتشكيلين والمسرحيين العراقيين المحيطين بالشاعر. وهناك تناسُق بين ظنونهم حول ما يحمله الشاعر واهتماماتهم أو ذكريات الشاعر بهم بصورةٍ عامة.

(١) **ديموزي:** الإله الراعي في الأساطير السومرية، وكانت طقوس الحزن على موته تجري في عيد الزكَمك الثاني الذي كان يجري في شهر أيلول، وتتضمن قصَّ الشَّعر من الجوانب ونسمِّيه اليوم بالعامية حِلاقةَ «الحَواف».

عبد الزهرة: كان يمكن أن يكون هذا هو اسم الشاعر بعد أن ظهر الطالع على يد عرَّاف، ولكن والده أصرَّ على اسم «خزعل».

صحن صيني: الصحن المصنوع من الخزف الصيني.

(٢) **نانشة:** إلهة السمك عند السومريين.

سكالي: اسم وزير الإله إنكي إله الماء والحكمة السومري في أسطورة إنكي وننخرساج.

نانا، ننار: أسماء إله القمر السومري.

الزايرجات: علوم عِرافة قديمة تعتمد على الأرقام والحروف.

عشتار: إلهة الحُب والجمال البابلية، والإشارة إلى شهر آب تتضمن إشارةً إلى غزو الكويت في ٢ /٨ /١٩٩٠م.

(٣) **ننماخ:** الإلهة السومرية الأم.

إنكي: إله الماء والحكمة السومري.

نركَال: إله العالم السفلي السومري.

(٤) **سياط، منصور زلزل:** مغنيان من العصر العباسي.

البيتان الشِّعريان العموديان لشاعرٍ عباسي مغمور.

عزازيل: اسم من أسماء الشيطان.

(٥) **إي-أو-في:** كلمة سومرية تعني الماء.

(٦) **نبو:** إله الحكمة البابلي «ابن مردوخ»، والآشوري «ابن آشور».

البقرة نوت: إلهة السماء التي تصوَّر على أنها بقرة في الأساطير الفرعونية.

المندالا: الدائرة ذات المركز.

ساروس: دورة فلكية بابلية.

النحل الأورفية: مذاهب سريَّة في الديانة الإغريقية تُنسب إلى أورفيوس.

النساطرة: مذهبٌ مسيحي شرقي انتشر في العراق وإيران.

الكنزا: الكتاب المقدس للصابئة المندائيين.

حرَّان: مدينة اشتهرت بتاريخها الديني الخاص.

عشيرا: الإلهة الأم عند الكنعانيين.
علي باليل: أحد أهمِّ شعراء البند في العراق.
ك/ن: حرفان مقدَّسان، وهما عنوان البيان الشِّعري الثالث للشاعر.
عقدة الأفاعي: رواية أندريه موريان، ويُقصد بها القلب.
علم الجفر: علم عِرافةٍ قديم يستعمل مقابلة الأرقام بالحروف.
الكَالو: جند الشياطين القساة في الأساطير السومرية.
زمَّارو: اسم عازفِ الناي بالسومرية.
الأكيتو: عيد رأس السنة البابلية.
(٧) **الحجاج بن أرطأة:** مهندس بغداد المدورة في عصر أبي جعفر المنصور.
(٨) حادثة وفاة أخي الشاعر (خالد) عام ١٩٨٢م في بداية المقطع الثامن، وفوزية هي أخت الشاعر التي تُوفيت وهي طفلةٌ في نهاية الخمسينيات.
سدرا: اختصار لاسم «زيوسدرا»، وهو نوح السومري.
بابا: إلهة الطب السومري.
ننازو: إله العالَم الأسفل السومري.
ننكشزيدا: إله العالَم الأسفل السومري، ورمزه العصا والثعبان الذي هو رمزُ الطب.
دامو: الإله الطفل الذي يمثِّل النسخ الصاعد والنازل في النباتات.
ليليث: شيطانة الليل وهي حوَّاء الباطنية.
(٩) **بشَّار:** الشاعر العباسي بشَّار بن برد.
كرامر ضد كرامر: فيلم من بطولة داتسن هوفمان.
هاملت بلا هاملت: مسرحية للشاعر، عُرضت في ١٩٩٢م.
هسِفر سومر: الكتاب الأول للشاعر في حقل الميثولوجيا صدر عام ١٩٩٠م.
(١٠) **منصور:** الشاعر منصور عبد الناصر.
(١١) **الهلمَّة:** المجموعة أو الحشود.
الثعلب الذي بال في البحر وقال: «يَاه، كلُّ هذا البحر خرجَ مني.»: مثَلٌ سومري عن التنطُّع.
(١٢) _____.
(١٣) **جسُّومة:** اسمُ والدةِ الشاعر.

(١٤) _____.

(١٥) **مي:** نواميس الحضارة عند السومريين.

(١٦) **تيامت:** الإلهة البابلية الأم الأولى؛ إلهة المياه المالحة.

(١٧) **شنعار:** ربما كان هو الاسم الذي ورد ليدلَّ على سومر في المرويات الدينية القديمة.

(١٨) **مقهى حسن عجمي:** مقهى الأدباء العراقيين في شارع الرشيد/الميدان.

الفضيلية: قرية تربية الجاموس في أطراف بغداد، أصابها مرض الطاعون البقري.

(١٩) **الأبسو:** مياه الأعماق، المياه العذبة في الأساطير السومرية.

كركوك: مدينةٌ في شمال العراق حيث وُلد الشاعر.

الشوَّاكة: منطقة وسط بغداد، مكانها الآن شارع حيفا.

سيد سريوط (سيد سروط): هو السيد سروط بن السيد محسن بن السيد كريم بن السيد إدريس بن السيد علي، وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وهو من أولياء الله الصالحين، والذي كانت له شهرةٌ واسعة في جنوب العراق. توفي في بداية الثمانينيات، وتحكى عن ولادته قصةٌ أسطورية ترى أنه ولد ميتًا أو في الجفاف، فسرطته (بلعتْه) أمُّه وأنجبتْه ثانيةً.

إبكاروس: الذي صنع له أجنحةً ثم سقط في البحر؛ لأن الشمع الذي يربط الأجنحة ذاب (أسطورةٌ إغريقية).

إيتانا، آدابا: شخصياتٌ أسطورية سومرية صعدتْ إلى السماء.

(٢٠) **شغب:** جاريةٌ ومغنية من العصر العباسي.

بكو: الطبل بالسومرية.

(٢١) **إيروس:** إله الحُب والرغبة الإغريقي.

(٢٢) في بداية المقطع توظيفٌ واضح لأسطورة «إيتانا الراعي» السومرية.

(٢٣) _____.

(٢٤) _____.

(٢٥) _____.

(٢٦) **أسلوحي:** الاسم القديم (السومري) للإله البابلي مردوخ، وهو إله الماء والغيوم.

(٢٧) _____.

(٢٨) **زيوسدرا:** نوحُ الطوفان السومري، وترد في الأسطورة أنه بعد نهاية الطوفان قدَّم تقدمةً للآلهة فشمَّت رائحتها فالْتمَّت عليها كالذُّباب.

إيرا: إله الطاعون السومري.

هنـــداوي